رمضان مصطفى سليمان

السيدة أنيسة
و عائلتها

تصميم الغلاف : محمد رمضان
مراجعة وتدقيق : مي رمضان

إهداء

إلى كل أسرة

إلى أسرتي

شخصيات الراوية

السيدة أنيسة
ابناؤها : طاهر و فريد و وحيد
زوجة طاهر أسماء
بنات زوج السيدة أنيسة :
مريم و انجي و ليلى
خالة أسماء
زوجة ماهر الثالثة منال
مدام شيرين – مدبرة المنزل
عبد القوي – عم الأولاد
وفاء ابنة عبد القوي
الخادمتان : زينب وسعاد
مربية ابنة وحيد - الفلبينية فنجي
زوجة فريد نادرة

الفصل الأول
مفاجأت الوصية

توفي زوجها السيد ماهر تاركاً وراءه ثلاثة أبناء ذكور، وعدد من الشركات والمصانع التي أسسها هو وزوجته خلال رحلة كفاحهما لأكثر من نصف قرن.

وبعد أن وارى جثمان الفقيد الثرى، وانتهى العزاء الليلي الذي كان فيه إناس لم تعرفهم الزوجة، قال المحامي للسيدة أنيسة زوجة المرحوم :

سأفتح الوصية في الغد في مكتبي، فأرجو أن تحضري أنت والأولاد حتى أقرأ عليكم الوصية.

وضعت جسدها المرمري على السرير لعلها تنام، فإذا النوم قد هرب منها واستلمتها الذكريات، ذكرياتها مع ماهر زوجها الحبيب.

وبرغم أنها قد ناهزت من السبعين من عمرها، إلا إنها مازالت تحتفظ بجمالها ورونقها وشبابها، وقدها الممشوق الذي لم تغيره السنون، وشعرها الأسود الفاحم المتموج كموج البحر، وعينيها الرمادتين كعيون القطط السامية.

صورسريعة متلاحقة كأنها وضعت في شريط سينمائي .

كانا زميلين في الجامعة، في نفس القسم، في كلية التجارة، في نفس السنة الدراسية كان يجلس بجوارها في المدرج عيناه لا تفارقها، وأذنه مع المحاضر، يوصلها إلى أقرب مكان من بيتها في عابدين في سيارته الفولكس، ويعود ادراجه إلى مسكنه في حي الزمالك.

واستمر الحال على ذلك المنوال، وبينما السنة الدراسية تكاد أن تنتهي ويلوح الفراق.

وإذا به في يوم من الأيام يقول لها :

إنه سيأتي اليوم لخطبتها، فأرجو أن تخبري أهلك.

عادت إلى البيت طائرة من الفرح، ترفرف بجناحيها في سماء الخيال، وأخبرت أمها انه سوف يأتي شخص اليوم لخطبتي.

قالت الأم :

وهل أهله معه.

قالت :

لا أعلم .

بعد أن أطمأنت الأسرة على مستقبل ابنتها مع هذا الشاب المدعو ماهر، تمت الخطبة، وتم الزفاف سريعاً، فقد كانت فيلا ماهر كاملة لا ينقصها إلا غرفة النوم التي تختارها العروس بنفسها، حسب ذوقها .

وكان الفرح أسطوري في أفخم الفنادق وكانت المفاجأة التي أعلنها ماهر لزوجته أنيسة السفر لرحلة شهر العسل إلى هونولولو.

وهناك عرفت للحياة مذاق آخرظل يتجدد في كل احتفال بعيد زواجهما، يشربان من رحيق الحب جرعات ورشفات بدون ارتواء .

ما إن انتهى شهر العسل حتى بدأ العمل سويا في مكتب استيراد وتصدير خاص بهما، كان والد ماهر قد تركه لابنه قبل وفاته.

تعاهدا على أن يصحبها في كل رحلة يقوم بها، حتى يتذكرا سويا أيام الحب، و أيام العسل، وأيام الهناء.

وقررا أن يفتحا مكتب جديد للسياحة.

وهكذا بدأت رحلة الصعود إلى القمة، وتغير كل شيء في حياتهما، لقد قرر أن يبني فيلا جديدة، و يترك هذه الفيلا، فها هو يبني لها فيلا من دورين، وحمام سباحة على شكل قلب، تظلل الفيلا أشجار على سورها من كل اتجاه.

كانت الفيلا كثيرة الحجرات في الدورالأرضي.

وفي الدورالعلوي أيضا.

واستغربت من ذلك، فقال لها ضاحكا :

هذه الغرف في الدور العلوي، ستكون للأولاد، والأحفاد. أما الدور السفلي فيكون للخدم والضيوف.

♠

كانت تسبح معه في حمام السياحة كل يوم تقريبا قبل الإفطار، تشعر بالسعادة وهو يداعبها، وهي تداعبه، وهو يقبلها، وهي تقبله، وكأن السعادة هي شعارهما الذي رفعه لحياتهما المخملية.

وأخيرا قررا أن تبدأ عملية الانجاب قبل أن يدهمها الزمان.

و كان أول طفل ذكر والثاني والثالث ما بين كال واحد تقريبا أربع سنوات ـ إلا الأخير فقد كان بينه و بين أخواته أكثر من عشر سنوات.

وجاءت إلى البيت مربية فلبينية لتعتني بالأولاد ، وأضيفت إلى طاقم العمل في البيت طباخة ومشرفتي نظافة وبستاني .

♠

لم تنتبه إلا على دقات باب غرفتها يدعوها إلى الاستيقاظ لتناول الفطورالتي اعتادوه سويا كل يوم، اجتمع الأولاد الثلاثة وأمهم على طاولة الطعام في الصباح، و ساد الصمت بينهم .

وما إن انتهى الافطارحتى هرع كل فرد منهم إلا غرفته لارتداء ثيابه.

وفي نفس الوقت كان الجميع في صالة الاستقبال .

قالت الأم :

سنركب سيارة واحدة.

و لم يعترض أحد من الأولاد كالعادة.

في مكتب المحامي جلس الأولاد وأمهم على طاولة الاجتماع منتظرين دخول المحامي .

جاء المحامي وألقى تحية الصباح، وجلس على كرسيه في رأس الطاولة.

قال في صوت سمعه الجميع :

قبل أن أفتح الوصية سأعرفكم على بقية الورثة .

أندهش الجميع لهذه الجملة. فهم يعرفون أنهم فقط هم الورثة، وليس هناك غيرهم.

نظرت الأم إلى المحامي بدهشة و قالت له :

أظن أنه لن يكون هناك ورثة آخرون، فكل أولادي ذكور. وهو لم يكن له أخوة، فقد كان وحيد والديه المتوفيان.

قال المحامي بصوته الهادئ :

سوف نعرف عما قليل.

طلب المحامي من سكرتيرته أن تدخل من في الغرفة الأخرى.

ودخلت ثلاث فتيات صغيرات عمرهن لا يقل عن عمر أولادها، وألقين التحية على الجميع في لهجة ريفية، و جلسنا مقابل الأم وأولادها الثلاثة.

قال المحامي وهو ينظر إلى الجميع من تحت نظارته :

والآن أفتح الوصية.

قبل أن يبدأ المحامي في القراءة، طرقت السكرتيرة الباب، وهمست في أذن المحامي.

قال لها : ادخليها هذا يوم المفاجآت.

و دخلت إمرأة شابة تجاوزت الثلاثين بقليل.

نظرت إلى أنيسة و قالت :

مدام أنيسة نحن نعرف بعضنا أنا كما كنت تعرفين سكرتيرة الباشا المهندس، وقد تزوجني بعقد شرعي، وقد سلمه زوجي للمحامي، بعد الزواج .

قال المحامي :

مدام أنيسة، اليوم يوم المفاجآت، و أظن الأن قوة أعصابك التي أعرفها ستجعلني أقدم لك المفاجأة الثانية، هؤلاء البنات بنات زوجك من المرحومة ابنة عمه في القرية، وأظن أن في هذا الخطاب الذي سوف أسلمك إياه توضيح لكل شيء .

هذه مريم البنت الكبرى انهت دراستها في كلية الطب مثلها مثل طاهر، هذه أنجي البنت الوسطى خريجة كلية التجارة هذا العام، و هذه ليلى البنت الصغرى ما زالت تدرس في كلية الآداب.

والآن سوف أفتح الوصية، و سأقرأها لكم جميعا.

كانت الوصية واضحة كل الوضوح لا لبس فيها.

فالبند الأول فيها أن يكون الميراث كله بيد أنيسة، وأن يساعدها في ذلك الابن الأكبر و البنت الكبرى ، يشتركان في إدارة المشفى، أما البنت الوسطى فتكون مع أنيسة في إحدى المكاتب.

وأن تكون منال زوجته الثالثة كما كانت سكرتيرة له، فهى سكرتيرة لأنيسة تنظم أعمالها ومواعيدها في الشركة، بل

في المصانع بعد أن كانت تفعل ذلك لزوجها، وها هى تقوم بواجبها على أكمل وجه.

والبند الثاني: أن يجتمع شمل الأولاد ذكور و إناث وزوجتي الثالثة منال في بيت واحد خلال أسبوع من قراءة الوصية.

و البند الثالث: كل فرد من أفراد أسرتي له مصروف شهري تحدده أنيسة مع المحامي.

والبند الرابع: إذا أراد أحد الأطراف نصيبه من التركة، بعد بلوغه سن الرشد، فيحدد المحامي وأنيسة وزوجته الثالثة منال نصيبه من الميراث، ويعطى نصيبه مبلغاً نقدياً من المال. على ألا يطالب فيما بعد بأي نصيب من التركة.

والبند الخامس: يوقع على هذه الوصية كل الأطراف الموجودة توقيعاً واضحاً مع تسجيل بياناته كاملة، لا يجوز له الطعن على هذه الوصية.

في مظروف أبيض كبير استلمته أنيسة من المحامي، ظل في يدها حتى انتهى الاجتماع.

قال لها المحامي :

اقرئي هذا الخطاب بتأني، وأنا في الخدمة.

أخذت المظروف و قبل أن تهم بالانصراف قال لها أيضا:

سوف نبدأ في الاجراءات بعد قراءة الخطاب.

ذهبت إلى البيت، ودخلت غرفة المكتب، فتحت المظروف بعناية، والدموع تكاد تنساب من عينيها، وبدأت القراءة، وأسئلة كثيرة حائرة تدور في مخيلتها: لماذا تزوج عليها؟ ، ولم يخبرها، إن البنات في عمر أولادها تقريبا فلا شك أنه تزوج أثناء حملها، وأثناء وضعها لأولادها .

♠

شرح في خطابه الطويل الظروف التي اضطرت إلى زواجه مرتين:

في المرة الأولى كان إجماع العائلة في القرية، فهى ابنة عمه، ولابد من أن تتزوج من العائلة حتى لا يتسرب ميراثها إلى يد غريبة عن العائلة، وفي النهاية تم الإتفاق على أن يكون هو العريس المحتمل، والذي لا يطمع في ميراثها.

وهكذا تم الزواج في نفس الجلسة، ودون أدنى تفكير، ولم أجد الفرصة المناسبة لأحدثك عن هذا الزواج، وكل ما كنت أريد أن أخبرك يحدث ما لم يكن متوقعا من أحداث في الشركة. كنت أذهب إلى القرية مرة واحد في الشهر، وأجلس فيها ثلاثة أيام، ولم أغير تلك العادة إلا حين وضعت مولودتها الأولى ثم الثانية، ثم الثالثة.

ومضت الأيام بل الشهور، بل السنين، و ماتت زوجتي، وتركت البنات في رعاية جدهم وجدتهم .

والغريب أن الأيام قد باعدت بيننا، اهتمامك بالأولاد ، واهتمامك بشئون البيت، اهتمامك بالشركة، لا وقت لي .

أحسست بفراغ عاطفي، أحسست إنني أعيش في عالم آخر غير عالمك، أين الحب الذي كان بيننا ؟، لقد تسرب مع مشاغلك، رغم أنه لم يتسرب من قلبي وعقلي، ورغم إنني كنت أملك جسدك، إلا إنني أحسست أن جسدك أصبح باردا لا حرارة فيه، حرارة الحب.

ثم دخلت السكرتيرة الجديدة في دنياي، ترتب أعمالي، ترتب مواعيدي، ترتب شرب الشاي والقهوة، أحسست بميل نحوها، و قاومت هذا الميل، إلا أن سنحت الفرصة لتبادل المشاعر.

بصراحة ملئت حياتي، وأحسست بميل نحوها، لقد ملئت الفراغ الذي تركته أنت.

و هكذا بدأت في الاقتراب منها، و تطورت العلاقة بيننا من سكرتيرة إلى صديقة إلى حبيبة إلى زوجة وفي نهاية الخطاب طالب أنيسة بأن تجمع الأولاد والبنات، بل و الزوجة الثالثة في بيت واحد، وأن تتخذ من الزوجة الثالثة صديقة لها في المقام الأول، و سكرتيرة تنظم لها أعمالها.

لم تغضب أنيسة رغم شعورها بالجرح العميق، لم تحزن بل بدأت تفكر في تنفيذ وصية المرحوم الذي أحبته رغم كل شيء، أن تجمع الجميع حولها في هذا البيت .

♠

أخيرا استطاعت السيدة أنيسة أن تلم شمل الأسرة كلها في الفيلا ذكور وإناث.

رغم معارضة الزوجة الثالثة منال بأن لديها شقة تعيش فيها، ولكنها جعلتها تقرأ الفقرة الخاصة بها في خطاب زوجها، وأنها المسئولة معها في إدارة الشركات و المصانع. .

وقسمت الفيلا لدورين، الأراضي للاستقبال و الطعام و الخدم ، الدور الثاني قسمته قسمين :

على اليمين جعلت الصبيان كل في غرفة مستقلة، وعلى اليسار البنات كل في غرفة مستقلة، والحجرتان على السلم لها ولمنال. و اتفقتا مع الجميع على موعد الافطار، و طلبات كل فرد من نوعية الطعام التي يفضلها والتي لا يفضلها حتى تعطي منال مديرة المنزل مدام شيرين القائمة اليومية لطعام الغداء الذي سيكون مساء للجميع. ومن يعتذرلأي سبب من الأسباب عليه أن يبلغ أنيسة أو منال شخصيا.

اتصلت أنيسة بالمحامي السيد فتحي وائل وأبلغته بقرارات الجميع، وافق المحامي على خطتها، واضاف إنه في حالة الاعتراض يرجع إليه المعترض .

اتفقت أنيسة مع الكل على دوره الذي سيقوم به.

طاهرومريم بعد تخرجهما من كلية الطب في إدارة المشفى الذي بدأ والده في انشائه خصيصاً لابنها طاهر، قبل أن يعرف أن مريم في كلية الطب أيضا، وطاهرللأعمال الإدارية إلى جانب مهمته كطبيب، ومريم للأعمال الطبية والفنية، و الرجوع إليها وقت الحاجة أو في الاجتماع الشهري للعائلة.

فريد وانجي معها في مكتب الشركة، وفي جولتها على الشركات والمصانع ومع منال في إدارة الشركات، فريد للناحية الهندسية وانجي للناحية الإدارية.

أما وحيد وليلى فيترك أمرهما لحين الانتهاء من دراستهما في كلية الآداب .

أما أنا ومدام منال فالإشراف العام على جميع الأطراف والأعمال، ومدام منال مسئولة عن الرواتب والمصروفات داخل وخارج البيت .

هكذا تم هذا النظام الذي يسير عليه الجميع .

أما مدام شيرين فأوكلت إليها شئون البيت مع الخادمتين، الإشراف الكامل فهي تهتم بإعداد قوائم الافطاروالغداء، وتعرضها على منال، والإشراف على الطباخ والخادمات إشرافاً تاماً دون التدخل في عملها، والرجوع إلى أنيسة ومنال في حالة الشكوى .

الفصل الثاني
زواج طاهر

الابن الأكبر طاهر، رغم التزامه بقرارات أمه أنيسة التزاما شبه كامل، إنما له وجهة نظرأخرى، العمل صباحا، والسهر ليلا في أي ملهى يصادفه.

ورغم أنه منذ أن ترعرع، لم يكن له ميل إلى النساء، فقد سببت له أمه عقدة نفسية بسيطرتها على الجميع، سيطرة تشبه سيطرة السجان.

في الصباح كان يذهب إلى عمله في المشفى فيعمل بجد ونشاط فيما هو مكلف به تعاونه أخته غيرالشقيقة مريم.

في المساء كان يخرج للسهر في أماكن اللهو فيذهب إلى الملاهي الليلية، يسهر، ويشرب في اعتدال، يستمع إلى الأغاني والرقص.

لفت نظره تلك المغنية التي تؤدي وصلتها من غير ابتذال، وهي تنظر إليه طوال الوقت، ولكنها لم تبادله الحديث، فيما بينهما، بل كانت تؤدي نمرتها وتغادر الملهى مباشرة.

ذات يوم بينما هي تخرج من الملهى الليلي إذا برجل أعمال يعرفه طاهر، ويتعامل معه، يتحرش بالفتاة، ويفتح باب سيارته ليدخلها فيها بكل قوة، ولكنها دفعته، فمد يده وأمسك بها من شعرها، فصرخت مستغيثة، فما كان من طاهرالذي خرج في تلك اللحظة إلا أن ضرب الرجل وهو صديقه، ومورد الأجهزة الطبية للمشفى.

قال له الرجل بكل وقاحة وغيظ :

أنت تدافع عن ساقطة، من الآن اعتبر أن ما بيننا من اعمال قد انتهى، ولا يوجد أعمال بيننا بعد الآن.

في تلك اللحظة كانت قد انسلت، أشارت إلى تاكسي، وركبته لتعود إلى منزلها.

♠

وصلت إلى البيت وهي في منتهى الغضب، فتحت الباب لتجد خالتها ما زالت يقظى، تجلس في انتظارها.

قالت لها خالتها:

إن صاحب البيت طالب اليوم بالإيجار.

نظرت إليها، و تركتها، وذهبت إلى غرفتها.

في الصباح تركت لخالتها إيجار البيت، ومصروف البيت، وانسلت خارجة.

كانت في الصباح تعمل نادلة في إحدى المقاهي الراقية في وسط البلد.

وهكذا كانت تعمل ليل نهار لكسب معاشها، فهي وحيدة بعد أن فقدت أمها أولاً ثم أبيها، واصبحت هي المعيلة لنفسها ولخالتها التي ربتها، والتي أصابها المرض فجأة، فلا تستطيع الحراك لمدة طويلة.

في اليوم التالي ذهبت إلى الملهى لتؤدي نمرتها، ولاحظت وجوده في نفس المكان، اقتربت من طاولته و شكرته على ما قام به، و تأسفت منه لأنها أفقدته جانبا من رزقه.

ضحك و قال لها:

أن ذلك الرجل سوف يعود إليه، فلن يجد من يقبل التعامل معه بعد ما حدث، وخوفا من غضبي ..

بعد أن انتهت نمرتها خرجت إلى الشارع، وجدته أمام سيارته، ودعاها أن يوصلها ، اعتذرت منه أنها لا تركب مع أحد من زبائن الملهى وانصرفت.

في اليوم التالي بعد أن ادت نمرتها وغادرت الملهى فوجدته أمام الملهى واقفاً أمام سيارته، ودعاها للمرة الثانية إلى توصيلها، حاولت أن تعتذر منه ولكنه ألح عليها ،فركبت معه السيارة .

في الطريق بدأ في استجوابها ليعرف إنها تعمل ليلا كمغنية في هذا الملهى، وفي الصباح كنادلة في مقهى، وأن حياتها الصعبة هي التي اضطرتها إلى ذلك، بعد أن فقدت أسرتها أمها ثم أباها، و إنها تعول خالتها المريضة.

و لم يزد على ذلك فقد عرف ما يريد أن يعرف.

في الصباح ذهب إلى الكافيه، وطلب قهوة تركي، لم يمض وقت طويل حتى جاءت إليه بالقهوة، كادت أن تسكب القهوة عليه، ولكنه تدارك الموقف، فأمسك بالصينية، وشرب ما تبقى من قهوته، وأنصرف .

و استمر الحال عل ذلك لمدة شه، يذهب إليها قي الصباح ليشرب القهوة، و يذهب إليها في الليل ليستمتع بغنائها.

وتركب معه فلا تجادل ولايحادثها، بل يستمع إليها،وهي ناظرة إليه بإعجاب، وهو ينظر إليها بوله.

ولأول مرة في حياته يشعر بعاطفة جياشة نحو إنسانة، نحو امرأة، وهو الذي كان يعتقد أن الحب ما هو إلا مرض يصيب الانسان يجب الشفاء منه، مرض كتلك الأمرض التي يعالجها في مشفاه.

قال لها بلهجة جدية خالية من الاضطراب:

هل تتزوجيني ؟

نظرت إليه في استغراب ودهشة، و قالت:

أنا فين وأنت فين ؟

طمأنها أنه لايوجد فرق بينهما، بل لا يوجد فرق بين البش، وإنها طالما تؤدي عملها بشرف بعيدة عن الابتذال، فهي جديرة بالاحترام، وجديرة بما يكنه لها من حب.

و تم الزواج بسرعة، ولم يكن هناك غير خالتها، وبدأ حياتهما في أحد الفنادق.

لقد رضيت ان يكون زواجهما في السر، فلم يكن هناك إلا الشاهدان، وخالتها.

المهم ان تكون سعيدة .

قالت له إنها سوف تعمل كنادلة في الصباح فقط ، وأنها ستكون زوجة بعد الظهر، تغني لزوجها فقط ، و ترقص له أيضا.

ووافق على مضض، رغم أنه لم يكن في حاجة إلى عملها، ولكن حتى لا تشعر بالفراغ في الصباح أثناء غيابه.

الفصل الثالث

مايوه بيكيني

لاحظت أنيسة غياب ابنها طاهرعن البيت، وكان الافطار الذي يجمع الجميع قبل انصراف كل واحد إلى عمله هوالملتقى الأول للأسرة وسألت ابنيها فلم تجد عندهم جواب شافي، أما مريم فقد اخبرت أنيسة أنه يأتي إلى المشفى في مواعيده اليومية، أحيانا أبكرمن اللازم، وأحيانا متأخرا. واحتارت أنيسة ماذا تفعل، هل تذهب إلى ابنها في عمله في الصباح وتسأله، ولكن تفكيرها هداها إلى تكليف أحد رجال مكتبها بمراقبة ابنها لتعرف أين هو؟.

حين جاءها الرجل بأخبارابنها فزعت وضربت طاولة المكتب بيديها فألمتها.

وفكرت في كيفية مواجهة ابنها، ولكنها هذه المرة استقر رأيها على أن تذهب إليه بنفسها في الفندق حتى لا ينك، وحتى تتناقش معه بعيدا عن أعين العاملين معه من ناحية، وبعيدا عن أخوته و أخواته.

ذهبت إلى الفندق، ودون أن تسأل الاستقبال عن الحجرة صعدت، وطرقت الباب، فتح الباب فإذا باقة ورد كبيرة تقدم إليه، يحملها خادم الطابق، وإذا المقدم هي أنيسة والدته، أخذت منه المفاجأة كل مأخذ، واندهش، ولكنه تمالك نفسه بسرعة لمواجهة أمه، حتى لا تصب غضبها عليه.

أرتدى ملابسه على عجل، ونزل معها إلى كافتيريا الفندق، امتد الجدال والحوار لأكثر من ساعة، ثم أصدرت قرارها بأن يعود إلى البيت بعد عدة أيام، حتى تجهزغرفته لتناسب العروس التي لم تراها.

بعد أسبوع عاد طاهرإلى بيته، وأقيم حفل استقبال للعروس الجديد حفل عائلي.

لكن أنيسة لم تكن كعادتها ولن تكون، فما ارتكبه ابنها خطأ بل جريمة يندى لها الجبين، ولكنها حفاظا على الترابط الأسرى فضلت أن يكون ابنها بجانبها ومعه عروسه التي تزوجها في السر، وممن تزوج من مغنية في ملهى ليلي، ونادلة في كافيه، هذا ما أخبرها به من أرسلته لمعرفة مكان ابنها طاهر، وسكتت على مضض.

وتدبرت الأم أنيسة حالها، و قررت أن تعمل على افشال و افساد هذه الزيجة، وإبعاد تلك الدخيلة عن بيتها مهما كلفها الأمر.

في صباح اليوم التالي دخلت إلى شرفتها لاستنشاق الهواء وبعض التمرينات الصباحية، فوجئت بما لم تتوقع، العروس الجديد في حوض السباحة، تسبح في مائه بمايوه بكيني، وها هي تخرج من المسبح و تستلقي على الكرسي الملاصق للحمام، لتأخذ حماما للشمس، و قد وضعت مئزرا بسيطا حول وسطها.

لقد جعلها هذه المنظر تسرح بخيالها إلى الزمن البعيد، أيام عرسها حين تزوجت، لقد كانت تنزل إلى حوض السباحة يوميا، تسبح و معها زوجها، يعيشان لحظات السعادة، ولكن الزوجة الجديدة كانت تسبح لوحدها، فابنها طاهر لم يرد أن يثير حفيظتها.

لم تحدثها على مائدة الإفطاررغم أنه قد فاض بها، وانتظرت إلى أن فرغ الجميع من طعامهم، واختلت بأسماء العروس الجديد في حجرة الصالون، و نبهتها في عنف أن هذا البيت له تقاليده، وأن ما حدث اليوم لن أسمح له بأن يتكرر، ولم تنطق أسماء ببنت شفه.

سكتت أسماء على مضض، ورسمت على وجهها ابتسامة، فهي تعرف أنيسة مما قاله لها طاهرأنها صاحبة القرار الأول والأخير في البيت، وأنها لا تحب أن تنزل كلمتها مهما كان من كان، بل تريد من الجميع أن ينفذ ما تريد، دون مناقشة.

و لكن أسماء هى الأخرة لها قرارها الذي لا تتنازل عنه، وصممت على تنفيذه، فبعد خروج السيدة أنيسة، هبطت إلى المسبح من جديد، ومارست هواياتها المفضلة السباحة بهدوء دون أن يزعجها أحد.

علمت السيدة أنيسة من مدام شيرين بما فعلته السيدة أسماء، ولكنها لم تحدثها في هذا الأمر.

ستكون المعركة حامية الوطيس بين السيدة أنيسة، وبين أسماء زوجة ابنها، وعليها رضيت أم لم ترض أن تنفذ تعليمتها بدقة، وإلا فتتحمل العواقب، و أنها لابد أن تنذرها مرة أخري عن طريق ابنها، حتى تلتزم بما تقوم.

الفصل الرابع
جاسوسة المنزل

جاءت الخالة دعاء لزيارة ابنة أختها أسماء، واشتكت لها الفراغ الذي تركته في البيت، بل ونبهتها إلى أنها لم تدفع الايجا، ولا مصاريف البيت من ماء وكهرباء وطعام.

نادت السيدة أسماء مديرة الفيلا مدام شيرين، وطلبت منها أن تعد غرفة في الطابق الأرضي للخالة أسماء.

ترددت مدام شيرين في تنفيذ ما طلب منها، و كانت أسماء تتوقع منها ذلك، فمدام شيرين لا تأخذ أوامر إلا من السيدة الكبيرة أنيسة، و السيدة منال.

نظرت إليها أسماء وهي تبتسم و قالت لها في حنان بالغ:

لا تخافي، ولن يصيبك أي ضرر، سوف أبلغ السيدة أنيسة بذلك وكذلك السيدة منال.

رغم أن أسماء أسكنت خالتها، إلا إنها لم تترك شقتها، فهي قد شعرت من أول مواجهة بينها وبين السيدة انيسة أنها غير مستقرة في هذا البيت، وإنها غير مرغوب فيه، وأنها قد تترك البيت في أي لحظة.

وأحس طاهر بقلق زوجته أسماء من وجودها في بيت العائلة، وزاد قلقه بعد أن استقرت الخالة دعاء في الفيلا، لهذا أسرع بشراء بيت تحسبا لأي ظرف من الظروف.

كان طاهر يعرف أمه تمام المعرفة، وأنها لن تسكت على ما أحدثه ابنها حين تزوج من وراء ظهرها، وممن تزوج من نادلة و مغنية في ملهى ليلي، فهذا غير مقبول عندها.

إن أسرتها كانت دوما محافظة، وأسرة زوجها من أعيان الريف، ولهذا فإن وجود أسماء سوف يهز كيان الأسرتان، سوف يقوض أركان ما بنته.

صحيح أن الحب في هذا الزمن ساوى الرؤوس، فلم يعد هناك فقيرولا غني، ولم يعد هناك محافظ أو سوقي، الكل أصبح سواسية، يستطيع أيا كان أن يتزوج من أيا كانت، والعكس صحيح أن ذلك كان يحدث في الماضي، ولكنه كانت حوادث فردية، لايقاس عليها، وانتهى الماضي، و لم يعد موجود منه إلا الذكريات.

وإذا كانت السيدة أنيسة رضيت بهذه الزيجة، فإنها رضيت لأن ابنها البكري وضعها أمام الأمر الواقع، وهي رغم ذلك لا ترضى بالأمرالواقع، وستعمل على تغييره في أقرب فرصة.

ومن ناحية أخرى لأنه لا تريد أن تفتت شمل الأسرة، فهى تعرف أن ابنها سوف يترك لها البيت، ويستقل هو وزوجته وخالتها في سكن منفصل في أقرب فرصة، في أقرب نزاع بين زوجته و بين أمه، وإذا ما حدث هذا فسوف يقوم الباقي بنفس التصرف، وبهذا يتشتت الشمل.

قررت السيدة أنيسة لأول مرة أن تمسك العصا من المنتصف، وكذلك قررت أسماء أن تفعل ما تشاء بعد مغادرة السيدة أنيسة المنزل.

كانت أسماء تعرف أن هناك جاسوسة في البيت تنقل الأخبار إلى السيدة أنيسة فور وقوعها، و كانت تعرف أن هذه الجاسوسة ما هي إلا مديرة المنزل.

لقد قررت أن تفعل ما تفعل أمام مدام شيرين، بل وتتعمد أن تظهر أمامها بملابس شفافة .

الفصل الخامس

زواج فريد

كانت السيدة أنيسة قد وطدت العزم على أن تزوج ابنها طاهر من ابنة أختها الوحيدة نادرة.

ولكن طاهر بزواجه من هذه المغنية قد لخبط كل حساباتها، فأسرعت بنقل العطاء إلى ابنها الثاني فريد، لتحفظ وعدها لأختها من ناحية، وتحافظ على ترابط أسرتها من ناحية أخرى.

كانت نادرة تحب طاهرمن طرفها حبا عميقا دفينا، وتتمنى أن يتحقق حلمها، وتتزوج به، ولكن ها هي تشعر بخيبة الأمل واليأس حين تزوج طاهر من هذه المرأة، لقد لخبط حساباتها، ولكنها لم تستسلم، و لن تستسلم، وستحقق هدفها مهما طال الوقت.

وشعرت بالمرارة أكثر حين علمت أن أمها وخالتها قد اتفقتا على زاوجها من فريد، وهي لم تكن تحب فريد، بل كانت تشعر نحوه بنفور شديد، لأنه كان متسرعا في تصرفاته، وهو حين يتخذ موقفا متسرعا ينفذه، ولكن بعد حين يشعر بالندم على تصرفه، لكنه لا يعتذر حفاظا على كبرياءه.

حتى فريد لم يكن ليبادلها أي حب هي أو غيرها، إنه يريد أن يكون ابن امه في كل تصرفاته، في العمل معها في إحدى شركاتهم، و أن يثبت جدارته في عمله.

وكان شعاره لا وقت للحب، فالحب مضيعة للوقت والكرامة، والحب كما فهم من أمه لا يأتي إلا بعد الزواج، أما ما قبل الزواج فهو تسلية.

♠

ورغم معارضة نادرة لهذه الزيجة، وتوسلها إلى أمها وأبيها، إلا إنها في النهاية وافقت على مضض احتراما لأمها و خالتها، وحتى تكون بالقرب من طاهر التي تعشقه، يكفيها أن تنظر إليه في الصباح حين تناول الطعام أو في المساء.

اقيم الفرح في فندق خمس نجوم، من فنادق القاهرة الفخمة، حضره الأقارب والموظفين، وبعض الشخصيات العامة التي تتعامل معها العائلة.

كانت مفاجأة الحفل من العيار الثقيل، فبعد أن أدت المطربة وصلتها، صعدت أسماء إلى خشبة المسرح، وأخذت تغني، ورقص الجميع على أنغام الموسيقى الصاخبة المبهجة التي سببتها أغاني أسماء.

ما إن أن انتهى الحفل حتى وجد فريد ونادرة نفسيهما في غرفة قد تم حجزها لهما في نفس الفندق، ووجدا أن الفندق قد قدم لهما من المشروبات الروحية ما لذ وطاب .

ورغم ذلك فلم يلمس فريد نادرة ، بسبب الحجج الواهية التي قدمتها له.

في أول يوم إنها متعبة، في اليوم التالي أن دورتها الشهرية قد جاءتها، وهكذا أصبحا العروسان بلا زواج حقيقي.

و أحس فريد إنها تتعلل بهذه الحجج، فصار يطاوعها في كذبها، ليرى إلى أين يستمر مسلسل الكذب هذا.

♠

مر أسبوع تقريبا، وعاد فريد ونادرة إلى الفيلا، و كانت السيدة أنيسة قد غيرت أثاث الغرفة كما فعلت في السابق مع أخيه طاهر.

أصبح في الفيلا صباحاً بعد أن يذهب الجميع إلى أعمالهم، خمس نساء أسماء و خالتها ومريم و نادرة وليلى،

يفقن في الصباح لتناول الافطار مع الجميع .. ثم جلسة يسودها الصمت في أغلب الأحيان، وتفاهات الكلام غالبا، وثرثرة وتقليد لشخصية السيدة أنيسة والسيدة منال.

وفي معظم الأحيان كانت أسماء تترك خالتها ومريم، تذهب إلى المسبح لتمارس هوايتها المفضلة في السباحة، وهي تعرف أنها مراقبة.

وسرعان ما بدأت مريم تقلد أسماء في كل تصرفاتها، فها هي تلبس المايوه مثلها، ولكنه ليس بيكيني، بل مايوه شرعي يغطي جسدها كله، وتنزل إلى المسبح مثلها لتعلمها أسماء السباحة، فلم تكن تعرف في القرية غير الاستحمام في البانيو، في نفس الوقت بعد خروج السيدة أنيسة.

أبلغت مدام شيرين السيدة أنيسة بما يدور في الفيلا بعد أنصرفها، وأن العروس الجديد جعلت الجميع يقلدها في تصرفاتها تقليدا أعمى.

في اليوم التالي انضمت ليلى صغرى البنات إلى العروس الجديد في الأيام التي لا تذهب فيها إلى الجامعة.

وأحست السيدة أنيسة أن وضعها في البيت قد تزعزع، وأن أسماء تسحب من تحت قدميها البساط، وتكون هي المسيطرة على من في البيت.

وقررت أن تعقد اجتماع في يوم الاجازة، لمناقشة الوضع الخطيرالذي تسببت فيه أسماء.

ورغم ما قالته، ورغم أن الجميع قد سكت، إلا أن الوضع لم يتغير، وإنما اختفت بعض الوجوه من حمام السباحة خوفا من غضب السيدة أنيسة.

الفصل السادس

ابنة وحيد

لم تكن السيدة أنيسة تتوقع أن تأتيها المشكلة هذه المرة من أبنها الصغير وحيد. منذ أيام قليلة ماضية كان قد بلغ الثامنة عشر من عمره، وتم الاحتفال بعيد ميلاده في حديقة الفيلا، وكان قد دعا إليه زميلة له في الجامعة فجاءت بدرجاتها البخارية، وهي ترتدي بلوزة تكشف صدرها تماما، وشورت قصير للغاية، فكانت بحق مثيرة.

وانتهى عيد الميلاد على خير، ولكن في اليوم التالي فوجئت بطلب وحيد ان ينقل غرفته إلى الملحق المعد أساسا لاستقبال الضيوف، لأنه لا يشعر بالراحة في هذا الجو الخانق داخل الفيلا.

إنه يريد أن يعيش بحرية، لا تربطه قيود لا يتحملها، لا تقيده تعليمات صارمة، إنه يريد أن يأتي بصديقته في أي وقت يشاء، وهو يبدل كل فترة صديقة، و تختلف الوجوه التي تأتي إلى الفيلا، بل تختلف الأجسام، لا فرق عنده، أنه صائد ماهر يختار فريسته، وبدلا من أن يخذ فريسته إلى فندق رخيص، تحملق فيه العيون، وتأخذ من جيبه ما يسكتهم.

وبرغم رفضها في البداية إلا إنها أبلغت السيدة أنيسة مدام شيرين بطلب أبنها، و كانت تعلم إنها لو اعترضت لفعل ما لا يمكن توقعه.

و رغم ذلك حافظ وحيد على تقاليد وعادات الأسرة، فكان يأتي كل صباح إلى مائدة الافطار، أما مأدبة العشاء فلم يكن يواظب عليها، ذلك أنه لا يعود إلى البيت إلا بعد منتصف الليل، أحيانا بمفرده، و أحيانا أخرى بصحبة فتاة.

قرر فجأة أن يشتري موتوسيكل، بدلا من السيارة الكوبيه التي أهديت له، لماذا اشترى الموتوسيكل؟ ذلك أن فتاته التي يرافقها في الجامعة تذهب إلى الجامعة بموتوسيكل، بل وتذهب به إلى كل مكان، فهو أسهل من تلك السيارة التي لا تجد لها مكان في أغلب الأحيان.

وهي في نفس الوقت لا تريد أن تركب معه في سيارته الفارهة، وقالت له :

حتى لا اعتاد عليها.

أيام مضت وهي تأتي إليه في البيت بالموتوسيكل، تجلس ما شاء لها أن تجلس، حتى إنها باتت عنده ذات ليلة.

في الصباح وجدت اسماء زوجة أخيه وأسماء ومريم تسبحان في المسبح بهذا المايوه البكيني.

في اليوم التالي جاءت وباتت أيضا، وفي الصباح ارتدت المايوه البكيني المثير، وذهبت تسبح مع أسماء ومريم.

و ثارت ثائرة السيدة أنيسة، ولكنها هذه المرة لم تنتظر إلى ما بعد الافطار في ثوان كانت أمامهم في المسبح.

قالت لأسماء في ثورة عارمة:

لم يعد هذا بيتا، لقد أفسدت الجميع حتى هذه الغريبة.

و لم تنتطق ببنت شفة، لكنها أسرعت إلى غرفتها، و أخذت تبكي، وأخذت بجمع ثيابها، لتذهب من البيت إلى البيت الجديد الذي اشتراه طاهر لها، وأخذت معها خالتها.

استيقظ وحيد من صراخ أمه، وخرج إلى الحديقة، وهو يرتدي شورت، وكانت المفاجأة حين وجد صديقته بالمايوه البكيني يظهر مفاتنها.

و لم تطل دهشته، فعاد إلى والدته التي أخذت تثور في وجه أيضا:

ما هذه التي احضرتها إلى بيتي.

ارتدت ملابسها وخرجت مسرعة وركبت الموتوسيكل، ولم يرها وحيد بعد ذلك أبدا.

أخذ يسأل عنها كل من يعرفهما من زملائهما، ولكن لا إجابة واضحة تشفي الغليل، وأخيرا ظهرت صديقاتها وهي ترتدي السواد، ووجهها الحزين.

سألها عن سبب ارتدائها السواد، عن سبب حزنها، فقالت وهي تبكي:

لقد ماتت ريهام، توفيت في حادثة بالموتوسيكل أمس.

ترك الجامعة، وذهب إلى البيت، انتظر والدته وهو ذاهل، عندما حضرت، بدأ هو في ثورة عارمة متهما إياها بأنها هي التي قتلت صديقته ريهام. قتلتها حين نهرتها أمام الجميع، لم يكن يدري ماذا يقول، فقد كانت الكلمات تخرج من فمه دون وعي، أو إدراك.

حاولت الأم امتصاص غضب ابنها، و لكنه تركها وذهب، ترك البيت كله وركب الموتوسيكل وانطلق .

♠

في يوم الاجازة كانت الأسرة جميعها تجلس في الحديقة، حين دخلت عليهم فتاة في سن ابنها وحيد، تحمل على يدها طفلة صغيرة، وقالت لأنيسة دون مقدمات :

هذه بنت وحيد.

مفاجأة من العيار الثقيل ألجمت الجميع، ولكن أنيسة استجمعت هيئتها، واخذت الفتاة إلى داحل الفيلا، واستمعت إليها، وهي تحكي قصتها مع وحيد.

استدعت السيدة أنيسة مدام شيرين و طلبت منها أن تعد غرفة وحيد السابقة لتأوي فيها هذه الغريبة وابنتها.

أمسكت بيد ابنها، وحاولت أن تتكلم معه، و لكنه كعادته تركها و ذهب.

في المساء حين عاد، استدعت المأذون ليعقد قرانه على البنت .. في أول الأمر رفض رفضا قاطعا، و لكنه تحت ضغط الجميع وافق على هذه الزيجة.

زواج لم يدم أكثر من يومين، توفيت على أثره الفتاة، فقد كانت مصابة بالسل، و لم تقل لأحد.

حزن وحيد، و لكنه أحس بـأنه قد خسر الكثير، ماذا يفعل بهذه الطفلة الصغيرة، من سيعتني بها، كيف يتصرف.

أحضرت السيدة أنيسة مربية فلبينية تعتني بالطفلة.

ومضى وحيد إلى لهوه كما أعتاد بعد أن اطمئن إلى أن الطفلة تجد الرعاية من الجميع.

حياة قد تعودها، ولا يستطيع أن يفارقها، السهر مع فتيات في الليل، يلهو، ثم يترك الجميع بعد أن يأخذ واحدة من هؤلاء الفتيات، ويذهب بها إلى البيت الملحق بالفيلا، ثم يأخذها في الصباح لتذهب إلى حال سبيلها.

الفصل السابع
هموم البنات

وهبت مريم نفسها لمستقبلها الذي تحلم به، في الصباح عملا في المشفى، وبعد تناول طعام الغداء تذهب إلى غرفتها التي قسمتها أقساما. هذا الجزء للنوم، وهذا الجزء للمكتب والمكتبة، وهذا الجزء لملابسها وممارسة الرياضة ، والجزء الرابع للاسترخاء، وقد وضعت بين كل جزء بارفان.

كانت تعمل جاهدة على اعداد رسالتها للماجستير أولا، ثم للدكتوراه ثانيا.

ومن العجب أن مدام شيرين قد لاحظت ما تفعله الآنسة مريم، وهي تأتيها بالشاي والقهوة، وبعض السندويتشات، و تضعها في جزء قد خصص بعيدا عن كتبها أوراقها.

وقد أبلغت مدام شيرين كل هذه التطورات للسيدة أنيسة، فاستراحت من هم تلك الفتاة إلى حين.

♠

وانشغلت انجي بما كلفت به من الأعمال، وكانت هوايتها حين تفرغ من عملها، أنت تقرأ، أو تشاهد الأفلام والمسلسلات الأجنبية في تلفازها الموجود بالغرفة.

ماذا تفعل انجي؟، لقد كان أمامها ثلاث أشكال من الأوراق، أجندة تسجل فيها يومياتها بالتفصيل، وهذه أوراق تسجل فيها ما اقتطفته من الكتب، وها هي رزمة ثالثة من الورق تحاول أن تكتب فيها قصة من وحي خيالها.

تعرضت لعلاقة عاطفية لفترة من الزمن، ولكنها تخلصت منها بلباقة، فهى تعرف جيدا من عيشتها في القرية، أن العلاقة بين الشاب والشابة لا تكون إلا علاقة زواج، أما غير

ذلك فلم يكن تؤمن به، وإذا كانت قد تركت القرية وعاشت في المدينة في وسط هذه الأسرة فإنها أبدا لن تنجرف لعادات أهل المدن.

ستظل انطوائية، تحب العزلة في وقت الفراغ، ولاتختلط بمن في الفيلا، حتى أخواتها البنات، كانت تتجنب الجلوس معهم إلا إذا اضطرتها الظروف .

♠

أما الصغرى ليلى فكانت بين كليتها وكتبها، ثم ها هي تجد في وقت فراغها ما تقوم به مع أسماء ومريم، تقليد أعمى، ما بين حمام السباحة، وما بين الثرثرة في توافه الأحاديث، ولكنها تعلمت من أسماء الكثير و الكثير جعلتها تشغل نفسها.

نسيت حياتها الريفية نسيانا تاما، وانخرطت في عادات المدينة، أو على الأصح تلك العادات التي أخذتها من أسماء.

علمتها العزف على الجيتار فأجادته، علمتها الغناء وأخذ صوتها تدريجيا في التحسن، علمتها السباحة فاشترت مايوه بكيني مثلها مثل أسماء، علمتها كيف تخيط ملابسها كما يحلو لها، فكانت تشتري القماش بنفسها مع أسماء، وتفصلها حسب مقاسها، أحيانا تكون الملابس فضاضة، وأحيانا أخرى تكون ضيقة، وإذا ما اضطرت إلى ارتداء بلوزة وبنطلون، فإنها تختار الألوان الغامقة، وتجعل كلاهما واسع لكي لا تظهر مفاتن جسدها، وخصوصا إنها كانت سمينة بعض الشيء.

الفصل الثامن

زواج منال

السيدة انيسة قررت أن تقضي فترة العيد في قرية زوجها، وأعلنت للجميع أنها لن تقبل أي عذر.

حاولت السيدة منال الاعتذاررغم ذلك، ولكن أوامر السيدة أنيسة صارمة لا تقبل الجدال والمناقشة.

وهكذا كان الحال مع دعاء خالة أسماء، ستكون ضمن الفريق الذاهب إلى القرية.

وستكون في صحبة الجميع مدام شيرين والخادمتان زينب و وفاء ، ومربية الطفلة سارة الفلبينية فنجي ..

السيدة أنيسة وسائقها ومدام شيرين والخادمتان، ومربية الطفلة في عربة.

طاهر وأسماء وخالتها والسيدة منال في عربة .

فريد ونادرة ومريم وانجي و ليلى في عربة ثالثة.

وحيد ومعه صديقته في عربة رابعة.

وصل الفريق إلى القرية، وفوجئ عم البنات أخو زوجها بهذا الجيش الجرار.

فأمر بإعداد الطعام فورا، وتجهيز فيلا أخيه المغلقة على الفورلينزل فيها هذا الجيش الجرار.

اجتمعت السيدة أنيسة مع عم البنات أخو زوجها، السيد عبد القوي، وبصحبتها منال ومريم، وكان الهدف من هذا الاجتماع معرفة ما ورثه الجميع من أراضي وماشية.

كان الرجل يعرف إنه سيأتي يوما لمحاسبته، لهذا أعد الدفاتر، وسلمها للسيدة أنيسة حتى تقوم بمراجعتها.

في اليوم الأخير من العيد والزيارة ذهب السيد عبد القوي إلى السيدة أنيسة وطلب منها يد السيدة منال، بعد أن توفيت زوجته، وأصبح وحيدا منذ سنوات، فهو معجب بها اعجابا شديدا، وهو أيضا يحتاج إلى رعاية له و لأبنائه بعد أن توفيت زوجته.

وعدته السيدة أنيسة خيرا بأنها سوف تفاتح السيدة منال في هذا الطلب، وسوف تبلغه بردها في أقرب فرصة.

وافقت السيدة منال على طلب السيد عبد القوي، وقالت للسيدة أنيسة، إنها سوف تتزوج منه رغبة في رعايته مصلحة الأسرة، وإن كان عز عليها أن تترك أنيسة وتبتعد عنها بعد هذه العشرة. وأن تترك العمل مع السيدة أنيسة.

الفصل التاسع
نوايا عبد القوي

ظن السيد عبد القوي أنه يستطيع أن يصل إلى هدفه من خلال زواجه من السيدة منال أرملة أخيه.

وكان واضحا لأنيسة أن عبد القوي يريد أن يسيطرعلى ثروة بنات أخيه من أمهم وأبيهم في القرية إذا تزوج من منال .

ووافقت منال على طلب عبد القوي، واسرعت في تجهيز نفسها للعيش الدائم في القرية ، والبعد عن سيطرة أنيسة، ومعرفة ميراث الأسرة.

لم يغير عبد القوي الكثير في مسكنه، فقط حجرة النوم لنكون مناسبة للعروس الجديدة، وترك البيت على حاله، وخصوصا أنه كان لديه ولدان و بنت، وخادمة من القرية تقوم على تنظيف البيت، والغسيل، واعداد الطعام ثم تغادره بعد صلاة العصر إلى بيتها، رغم أن عبد القوي قد جهز لها غرفة في دواره، ولكنها فضلت ذلك رغم أنها وحيدة ليس لها أبناء من زوجها المتوفي فقد كانت عاقر.

وتم العرس في القرية، كان عرسا لم يرى الأولاد مثيله في حياتهم، منشد ديني كان يصعد بين الحين والحين ليقدم ابتهالات، ومطرب شعبي وراقصة غريبة الشكل، وانتهى الحفل قرب منتصف الليل.

عادت أنيسة وأولادها وبنات زوجها إلى القاهرة مرة أخرى ليمارسوا حياتهم الطبيعية.

وكان لابد لأنيسة أن تجد بديلا عن منال لتنظم لها المواعيد، وتجهز لها ما تحتاجه من أوراق.

لقد كانت منال شعلة من النشاط، ففوق تنظيمها للعمل في المجموعة، ومعرفتها بكل صغيرة وكبيرة، وهو دور لا تستطيع سكرتيرة واحدة أن تقوم به، لهذا فقد غيرت أنيسة السكرتيرة واستطاعت خلال فترة وجيزة أن تجهز أكثر من سكرتيرة للقيام بعمل منال. ولتجمع كل التقارير بيدها في نهاية اليوم.

يبدو أنه كان أمرا صعبا، ولكن كان لابد من وجود أكثر من سكرتيرة تحسبا للظروف من مرض أو زواج، كان لكل واحدة منهم اختصاص تقوم به.

الفصل العاشر

مريم و درجة الماجستير

اجتازت مريم أول طريقها في الدراسات العليا، ها هي تنال الماجستير بتفوق.

حضرالمناقشة الجميع رغم أن المناقشة كانت باللغة الانجليزية.

قررت أنيسة أن تقيم حفلة بهذه المناسبة، ودعت إليه جميع من تعرفهم، وخصوصا أعضاء الهيئة التي منحت مريم درجة الماجستير.

كان الحفل بهيجا، أكثر من رائع ، امتدت السهرة إلى قبيل الفجر، وكانت مفاجأة الحفل أن غنت أسماء أغنية الناجح يرفع إيده، ورقص الجميع على أغاني أسماء.

صحيح أن أنيسة شعرت بالحرج من هذا التصرف، فالجميع يعرف أنها زوجة ابنها، ولكنها تمالكت نفسها بسرعة، وعادت إلى وعيها، لقد تعودت ان تفاجأها أسماء في كل مناسبة أن تغني.

قال الدكتور مروان لمريم:

أظن أنك لن ترتاحي، وأنك سوف تستعدين في تحضير رسالة الدكتوراه، وسوف أكون دائما بجانبك.

قالت السيدة أنيسة للدكتور مروان:

إن المشفى يحتاج إلى مجموعة من الاستشاريين، فأرجو أن تكون فريقا من الاستشاريين، وتكون على رأسهم.

وعدها الدكتور مروان أنه سوف ينفذ ما طلبته في أقرب فرصة.

لاحظت مريم أن الدكتور مروان يتودد إليها كلما راها، وحكت للسيدة أنيسة ذلك.

قالت انيسة لمريم، أمسكي العصا من النصف، ولا تغلقي الباب في وجه.

زارت السيدة أنيسة المشفى، وخلسة دعت الدكتور مروان إلى العشاء في بيتها، في محاولة منها لفك عقدة لسانه.

ومضت الليلة، ليلة العشاء، ما بين مجاملات وأحاديث ودية في جو أسري .

وفي نهاية السهرة دعا الدكتور مروان السيدة أنيسة والآنسة مريم إلى العشاء في المطعم الذي اعتاد تناول الطعام فيه مع أصدقائه.

في اليوم المحدد بينما هم يتحدثون إذ بهاتف السيدة أنيسة يرن، وإذا بها تستأذن في الانصراف..

حاول الدكتور مروان ان يقوم هو أيضا، ولكن السيدة أنيسة دعته إلى الاستمرار في تناول الطعام هو ومريم، وأن يوصل مريم إلى المنزل بعد قضاء السهرة.

قال الدكتور مروان أنه فهم ما تريد السيدة أنيسة ان توصله إليه، ولهذا فإنني سوف أطلب منها في اقرب فرصة يدك.

قالت له مريم :

ولكنك تعرف إنني أحضر الدكتورة.

قال لها وهو يبتسم :

وسوف أساعدك إذا احتجت إلى مساعدة.

ثم بدأ الدكتور في حديثه الودي شبه العاطفي مع مريم، وهى صامت لا تتكلم، بل أحمرت وجنتيها، وبدأ العرق يتصبب في جبهتها، وأسرعت إلى منديل قدمه لها الدكتور مروان.

قال ضاحكا:

يبدو إنك لم تسمعي كلمات الغزل من قبل.

قالت بجدية وصراحة:

لقد كنت في مدرستي في القرية، وحينما جئت إلى الجامعة، كنت أصد بعض الزملاء الذين يتقربون مني، وأنا كما تعرف ليس لدي وقت لهذا الكلام الفارغ.

الفصل الحادي عشر
خطبة مريم

ذهب الدكتور مروان إلى السيدة أنيسة في عملها، واستقبلته أحسن استقبال، فقد كانت تتوقع زيارته، فهى من كلام مريم، أحست أنه يريد أن يتزوجها.

تناقش معها في موضوع الخطبة، وأن مريم قالت له أن ينتظرها إلى أن تأخذ الدكتوراه.

قالت له أنيسة هناك مشكلة بسيطة، سوف نحلها قبل الخطبة، يجب أن نذهب إلى عمها، فهو ولي أمرها، بعد وفاة زوجي.

وأتفقا عل موعد للذهاب إلى العم، وهناك رحب بهما العم، كما رحبت بهم منال، واتفقا على أن يحضر الدكتور أهله، كما هي العادة.

وغادر الدكتور مروان القرية بصحبة السيدة انيسة، وهو منشرح الصدر، فقد أحس أن السيدة أنيسة مرحبة بهذا الزواج، وأن العم شبه موافق حتى يحضر أهله.

قال العم عبد القوي بجدية أهل الريف:

أظن أنك تعرف الأصول يا دكتور، يجب أن يأتي أهلك حتى نتعرف، وتتم الخطبة.

فقال له الدكتور:

سوف يحضرون، إذا شعرت أنك موافق على الخطبة.

لم يمضي إلا أسبوع، وقد أحضر الدكتور مروان أهله، واصطحب السيدة أنيسة التي رحبت بهم. وذهبوا جميعا إلى القرية لمقابلة عم مريم.

قبل أن يبدأ العم الحديث، قال أبو مروان:

نحن قرويون مثلك يا حاج عبد القوي، فأنا عندي مزرعة، وأرض زراعية، وحظيرة للمواشي، ولقد ربيت ابني على الأصول الريفية، وهو فورأن طلبت منه أن نحضر، جاءنا وكلنا أمل أن توافق على الخطبة بإذن الله... نقرأ الفاتحة .

قال العم عبد القوي:

سوف يتم الفرح هنا في القرية، وادعو من تشاء من المعازيم.

قال الدكتور مروان:

لقد طلبت مني الآنسة مريم أن ننتظر بعض الوقت، لأنها تعد الدكتوراه.

قال العم عبد القوي بجدية:

نعمل الفرح، وبعدها تعد البنت الدكتوراه كما تشاء، نحن لا نريد أن تمضيا الوقت في كلام فارغ.

قال الدكتورمروان:

ليس هناك كلام فارغ، فأنا أعمل معها في المستشفى، وبهذا لا يكون لدينا الوقت للكلام الفارغ.

قال عبد القوي:

نعمل الفرح أولا، والسيدة أنيسة تحافظ على البنت.

لم تستطع مريم أن تحدد موقفها، وأن توافق أو تعترض، فها هو العم و السيدة يوافقان على الخطبة، ولكنها في النهاية رضخت تحت ضغط عمها .

ونحن في الريف خاصة نحترم الكبي، وما يقرره.

الفصل الثاني عشر
خلاف مريم ومراون

في أول زيارة للدكتورمروان ومريم لوالدي الدكتورمروان، سألت أمه ابنها أسئلة كثيرة، وعرفت من خلال إجاباته أنهما يأكلان في مطعم المستشفى، أو احد المطاعم الشهيرة، أوحينما تأتي شغالة السيدة أنيسة لتنظيف البيت.

تدخل والد الدكتورمروان في الحديث، قال لابنه:

عندي لكما سيدة تعتني بالبيت، وتعد لكما الطعام يوميا، إنها أرملة مات زوجها منذ بضع سنوات، و قد وعدتها أن تعمل عند أحد أقاربنا في القاهرة، و لكنه أعتذر لأن عنده أكثر من خادمة.

لم ينطق الدكتورمروان، ولا مريم.

فاستطرد الأب:

سوف استدعيها لتعد ملابسها وتذهب معكما.

ولأن الدكتور مروان لا يستطيع أن يعصي أمرا لوالده، وكذلك مريم التي اعتادت أن تطيع كلام الكبار.

جاءت الشابة، كانت جميلة جمالا باهرا، جمال الريف، وجسمها رشيق ملفوف، جاءت ومعها شنطة صغيرة بها بعض ملابسها.

قال أبو الدكتور مروان :

هذه أمانة لديكما فحافظا على أمانتي، وهي لن تأتي لزيارة أهلها إلا عندما تأتيان لزيارتنا.

اصطحب الدكتور مروان ومريم الشابة معهما في العربة، وعندما وصلا إلى بيت الدكتورمروان، أخذت الشابة تنظر إلى جمال الفيلا، بل إلى جمال الحديقة.

قالت نبوية :

هل هناك من يعتني بالحديقة ؟

ردت مريم بسرعة :

هناك بستاني يأتي مرة في الأسبوع للعناية بالحديقة.

قالت نبوية:

أنا سوف أعتني بالحديقة يوميا، وسوف أزرع في ركن من الأركان بعض الخضروات التي استخدمها في الطبخ.

♠

في يوم الجمعة جاءت السيدة أنيسة ومعها الخادمتين للعناية بالشقة، فوجدت نبوية تفتح لهما الباب .

انفردت السيدة أنيسة بمريم و قالت لها:

احذري من هذه الشابة، إنها فوق جمالها، فهى تمشي مشية لم تعجبني، تتثنى في مشيتها.

قالت مريم للسيدة أنيسة:

لا تخافي، فنحن نخرج في الصباح معا، ولا نأتي إلا في العصر سويا، فليس هناك مجالاً للخوف.

شعرت مريم بأن زوجها- بعد كلام السيدة أنيسة - ينظر إلى تلك الخادمة، و خصوصا إنها لم تتعدى الثلاثين إلا بسنوت قليلة.

أخذت مريم في العناية بنفسها عناية كبرى، حتى إنها يوم الخميس ارتدت قميص نوم أبيض قصير، يظهر جسدها الذي لا يقل أنوثة عن الشغالة.

قال لها الدكتورمروان:

هل هناك تغيير في حياتك، أظن إنك لم تأخذي الدكتوراه بعد، وإنها قد اقتربت المناقشة.

قالت له مريم بدلال:

أظن أنك زوجي، ومن حقك أن تعاشرني كالأزواج، وأنا اعتذر عن اهمالي لحقك، ولكن من الان سوف أعطيك كل حقوقك كاملة.

كانت المفاجأة مذهلة للدكتورمروان، ولكنه استطاع أن ينعم بليلة دافئة في أحضان زوجته.

في الصباح – كالعادة – وجد الدكتورمروان ومريم أن مائدة الافطار قد امتلأت بما لذ وطاب من أطعمة .. فول مدمس، وطعمية، وجبنة، ومربى، و قشدة، وعيش فينو.

ضحك الدكتور مروان وسأل مريم:

هل أنت من طلب هذه العزومة.

قالت مريم ضاحكة :

نعم، من أجل العريس، وبعد الآن لن يكون أكل خارج البيت، إلا في السهرات، أو العزائم.

كانت الخادمة واقفة، فدعتها مريم إلى الجلوس، ولكنها في البداية رفضت، ثم جلست على استحياء، وهي تأكل، ووجهها في الأرض.

وضحك الدكتور مروان ومريم على ذلك.

واستطردت مريم وقالت:

من الان وصاعدا، سوف تأكلين معنا، طعامك اللذيذ التي تحضرينه، فأنت أصبحت واحدة من البيت.

شكرتهما الخادمة، ثم قالت:

أريد أن أزور أهلي لأخبرهم بهذه المعاملة الطيبة.

قالت مريم:

سوف نأخذك في الاجازة، ولكن قبل ذلك سوف نشتري لك بعض الملابس التي سوف تبهر الجميع.

ورغم ذلك فقد كانت العلاقة بين الدكتور مروان، الدكتورة مريم متوترة، وكان الموضوع الأساسي الذي يدور حوله الحديث هو الانجاب في أقرب فرصة.

ولكن مريم كانت ترفض هذا الحديث، وتعللت بأن ذلك سوف يشغلها عن الدكتوراه.

♠

مرت الأيام و الشهور سريعا، ذات يوم قال الدكتور مروان لزوجته مريم :

أريد أن تنجبي لنا ولد أو بنت.

قالت الدكتورة مريم، بهدوء :

أظن إننا متفقان على أن أنهي الدكتوراه أولاً.

قال لها الدكتور مروان:

سنحضر مربية للطفل، وبذلك لن تتأخر عن رسالتك.

صمتت مريم ولم تتكلم ، فقد كانت تعرف أن الحوار سوف يمتد، ولن يقتنع أي منهما بوجهة نظر الآخر.

في الصباح ذهب الدكتور مروان إلى المشفى بعد أن استأذنت منه مريم للذهاب إلى الجامعة لمقابلة الدكتور المشرف على الرسالة.

ولكنها لم تذهب إلى الجامعة، بل ذهبت إلى القرية، إلى بيت الخادمة التي كانت تعمل عندهم، وأخذت تتحدث معها، وأخيرا صارحتها بسبب الزيارة، و إنها سوف تقيم عندها، ولهذا سوف تعد البيت ليكون مناسبا لهما، و طلبت منها ألا تخبر أحدا بوجودها عندها.

و بالفعل أعدت البيت، وجددته وفرشته.

كانت الخادمة بعد أن توفي زوجها، و تركها الخدمة عند مريم وأخواتها تعيش في بيتها منفردة ، وكأنها راهبة، ولا تكاد تخرج من البيت إلا للضرورة القصوى.

بحث الدكتور مروان عن مريم، و لكنه لم يجد لها أثرا في فيلا السيدة أنيسة، عند عمها، في الفنادق، في المستشفيات.

اما مريم فقد تفرغت لإنهاء رسالتها، شهر أو عدة أشهر، المهم إنها انتهت من إعداد الرسالة، وذهبت لتقديمها إلى المشرف عليها.

ابتسم الدكتور المشرف، و قال لها:

لقد جاء الدكتور مروان ليسال عنك.

قالت له وهي تضحك:

لقد كنت في الكهف اجازة إنهاء الرسالة، وها هي قد انتهت، فأرجو أن تحدد لي موعدا للمناقشة.

في يوم المناقشة دعت الجميع إلى المناقشة.

فوجئ الجميع بوجود الدكتورة مريم، وهي ترتدي الروب الأسود، وتجلس فوق منصة المسرح، وتناقش مع الدكاترة.

وما إن انتهت من الجلسة، وأعلنت النتيجة، بتفوقها بامتياز مع مرتبة الشرف .

حاول الدكتور مروان أن يعاتب زوجته، لكنها لم تلتفت إليه بسبب وجود الأهل و المهنئين. وانتظر إلى أن يعودا إلى البيت، و لكنها لم تعد معه، بل ذهبت إلى فيلا السيدة أنيسة.

حاولت السيدة أنيسة مع مريم أن تعود إلي بيتها، و لكنها صممت على البقاء معها.

جاء الدكتور مروان إلى فيلا السيدة أنيسة، وتناول معهم العشاء، و حاولت السيدة أنيسة أن تنسحب و تتركا الاثنين معا، ولكن مريم استبقتها.

كانت مريم هادئة الأعصاب وهي تتحدث، وقالت للدكتور مروان إنها تريد الطلاق.

كانت الكلمة كالقنبلة على مسامع السيدة أنيسة، و الدكتور مروان.

قالت مريم بجدية واضحة:

لقد اتفقنا منذ البداية على أن أحضر رسالة الدكتوراه، وبعد ذلك أباشر حياتي مع الدكتو، فانجب لتكتمل فرحتي، ولكنه أخل بالإتفاق، وصمم على رأيه بأن أنجب أولاً، وأن يأتي بمربية ترعى الطفل، وأنا لاأستطيع الإستمرار مع من يخل بالإتفاق.

حاولت مريم أن تستبقي الخادمة معها، ولكن الخادمة رفضت عرضها، وقالت لها أنها مثل السمك يموت إذا خرج من الماء.

اعادتها إلى القرية وأوصت بها السيدة منال، أن تدفع لها الشهرية المتفق عليها، إذا تأخرت في المجيء.

الفصل الثالث عشر
ليلى والحرية

ذات صباح يوم الجمعة، وكان الجميع يتناولون طعام الفطور، قالت ليلى للسيدة أنيسة :

ماما أنيسة، أريد أن نشترك في أحد الأندية لنقضي فيه يوم العطلة.

أندفع و حيد وهو يضحك:

فلاحة تريد أن تشترك في نادي، فما هي اللعبة التي تفضلين أن تمارسيها.

نظرت إليه بغضب وقالت في عصبية:

حتى الفتى المدلل يتكلم، و يريد أن يحبس حريتنا.

ضربت السيدة أنيسة يدها على الطاولة، وقالت للجميع:

لم نتعود أن يكون بيننا مشاجرات، و حيد اعتذر من أختك.

و لكن وحيد ظل صامتا، فقالت له السيدة أنيسة بغضب:

قلت لك أعتذر من أختك.

قال وحيد، وهو يدير وجهه:

آسف.

فقالت له السيدة أنيسة:

أدروجهك وأنت تعتذر.

فأدار وحيد وجهه نحو اخته وقال لها:

أنا آسف هاتي رأسك أبوسها.

بعد الفطور أختلت السيدة أنيسة بليلى وقالت لها:

لماذا تريدين أن تشتركي في نادي؟.

قالت ليلة بعفوية:

كل زميلاتي مشتركين في أندية، ويقضين يوم العطلة، حتى أنهن يأتين بعرباتهن، وأنا آتي بالعربة إلى الجامعة مع السائق الذي ينتظرني حتى تنتهي محاضراتي، هل ما أطلبه صعب أو مستحيل، سوف أطلب من عمي أن يشتري لي عربية أقودها بنفسي.

بهدوء قالت أنيسة وهي تبتسم:

السيارة التي تركبينها ملكك، وأنا وضعت السائق خوفا عليك، وأنت ترين زحمة الطريق، والحوادث التي تقع في الطريق، وسوف أطلب من السائق أن يعلمك القيادة، حتى إذا أحسست أنك تستطيعين القيادة لوحدك، فسوف أترك لك الحرية في قيادة السيارة بنفسك، وغدا سوف أجمع البطاقات، وأسجلكم في النادي الذي تختارين أنت أن نشترك فيه لنقضي العطلة كعائلة.

وفرحت ليلى و شكرت السيدة أنيسة، وقامت لتقبل رأسها.

أحست ليلى أن باب للحرية قد فتح، فالبيت كالسجن، صحيح أن الجميع سيكونون في النادي، ولكنها تستطيع أن تتجول بكل حرية أمام أعين الجميع.

شعرت أنها مثل زميلاتها، لا تقل عنهم في شيء، تستطيع أن تتعلم أي لعبة لتمارسها، وأيضا أمام الجميع كهاوية.

الفصل الرابع عشر
الشرطة تبحث عن وحيد

اتصلت مدام شيرين بالسيدة أنيسة وأخبرتها أن الشرطة جاءت تبحث عن وحيد، فأخبرتهم أنه غير موجود في البيت. فطلبوا منها أن تبلغه أن يحضر إلى القسم.

اتصلت السيدة انيسة بهاتف وحيد النقال، فوجدته مغلق، فأخذت المحامي، و ذهبت إلى القسم لتعرف ماذا حدث ؟.

في القسم عرفت أن مشاجرة قامت بين وحيد و أحد الشبان، وأن الشاب نقل إلى المستشفى للعلاج.

سأل المحامي عن المستشفى فابلغه الضابط عن اسم المستشفى، ولكنه قال لابد من حضور وحيد، وإلا ألقي القبض عليه، وقدم للمحاكمة.

قالت السيدة أنيسة:

سوف أحضر فريد بنفسي.

انصرفت السيدة أنيسة والمحامي للذهاب إلى المستشفى، وهناك قابلا أم و أب الشاب، حاولت الأم التهجم عليهما، و لكن الأب منعها.

واختلى المحامي بوالد الشاب، وقال أنه ينقل ابنه إلى مستشفى خاص لعلاجه على حسابهم.

وبالفعل تم نقل الشاب. ووضعت السيدة أنيسة مبلغ تحت الحساب لعلاج الشاب.

عندما عادت السيدة أنيسة إلى البيت، وجدت ليلى تبكي، سألتها عن سبب بكائها فقالت لها:

كنت أسير في فناء الكلية ذاهبه إلى المكتبة لقراءة كتاب مهم أوصانا الدكتور على الاطلاع عليه، وأثناء سيري، حاول شاب أن يكلمني، و لكنني صددته، فأمسكني من يدي، وهنا ظهر وحيد، وأخذ يضرب الشاب.

تجمع الزملاء والزميلات وحارسي لفض المشاجرة، ولكن وحيد ظل يضربه، فانصرفت إلى المكتبة، عندما جاء حرس الجامعة، كان وحيد قد اختفى.

قالت السيدة أنيسة للمحامي يجب أن نعمل محضر بذلك حتى نحمي وحيد.

حضر وحيد إلى البيت في منتصف الليل تقريبا، وعرفت السيدة أنيسة من مدام شيرين أنه حضر، فارتدت ملابسها بسرعة، واخذت وحيد من يده إلى قسم الشرطة.

في قسم الشرطة أدخل وحيد إلى قفص المحتجزين، حتى يحول إلى النيابة في الصباح.

وتدخل المحامي و قال للضابط:

نحن أيضا سنعمل محضر للشاب لأنه تحرش بأخت وحيد.

ضحك الضابط، وقال في جدية:

الأفضل أن تتم المصالحة بين الطرفين، فكلاهما سوف يحبس إذا لم يتنازل الطرفان عن المحضرين.

في الصباح ذهبت السيدة أنيسة والمحامي إلى والدي الشاب، وشرح لهما ما حدث، وما سمعاه، وإنه إذا لم يتنازلا عن المحضر فسوف يحبس ابنه، و يدفع غرامة كبيرة.

ورغم بكاء الأم، إلا أن الوالد ذهب مع المحامي، وترك السيدة أنيسة مع أم الشاب، وحاولت السيدة أنيسة أن تهدأ من بكاء الأم، وفي الوقت نفسه تبشرها بما سمعته من الأطباء أن تلك الجروح التي أصابت ابنها سوف تشفى في القريب العاجل.

قالت أم الشاب:

نحن على قد حالنا، فكيف ندفع الكفالة التي ستقررها المحكمة، وكيف أحافظ على وجود ابني من دخول السجن.

قالت لها السيدة أنيسة:

لن يحدث شيء من هذا، سوف ندفع الكفالة، ولن يدخل ابنك السجن، أنا أعدك بذلك.

قالت ام الشاب وهي تبكي:

أبوه يعمل على تاكسي بالمناوبة مع زميله، وما يحصله قليل بالنسبة للعيش.

قالت السيدة أنيسة و نبرة الحزن بادية على صوتها:

لا تحزني سوف أدبر عمل لزوجك في الشركة، والعمل موجود بالفعل، سائق على سيارة الشركة ليحضر الموظفين إلى المصنع.

واستطردت السيدة أنيسة وسألتها:

و ماذا تفعلين أنت؟:

أنا ربة بيت لا أخرج من البيت إلا لشراء ما يلزمنا من طعام.

قالت لها السيدة أنيسة:

وهل تقبلين أن تعملي عندنا كطاهية، نصف دوام، ثم تذهبين إلى بيتك قبل أن يحضر زوجك، ومعك الطعام اللازم للعائلة.

في هذه الأثناء حضر والد الشاب والمحامي، وأبلغا السيدة أنيسة أنه قد تنازل عن المحضر، نحن أيضا قد تنازلنا عن المحضر، فلن يحبس أي من الشابين.

قالت أنيسة:

الحمد لله، ستخبرك زوجتك بما أتفقنا عليه، و من الصباح الباكر تعالى استلم عملك في المصنع، سوف تقود سيارة لنقل الموظفين من بيوتهم إلى المصنع، وسوف تشرح لك زوجتك ما اتفقنا عليه .

نظر إلى زوجته، محاولا أن يفهم ما تقوله السيدة أنيسة، ولكن زوجته لم تعطيه الفرصة، وقالت له سوف تشرح له حينما يعودان الى البيت.

وهكذا استطاعت السيدة أنيسة احتواء الموقف بفضل ذكائها.

الفصل الخامس عشر
مشاجرة ميراث الأسرة

حاولت منال أن تعرف ميراث الأسرة، ولكن الحاج عبد القوي صاح في وجهها قائلا:

الستات لا تتدخل في عمل الرجال.

وسكتت منال، ولكنها أبلغت ما دار بينها و بين زوجها للسيدة أنيسة، فوعدتها السيدة إنها سوف تأتي للزيارة مع المحامي.

في العطلة الأسبوعية ذهبت السيدة أنيسة والمحامي إلى بيت عبد القوي عم الأولاد، و قالت له أريد أن أطلع أنا و المحامي على حساباتك، و ميراث زوجي، و ميراث الأولاد.

وقبل أن ينطق عبد القوي، قال المحامي:

سوف ندقق الحسابات بواسطة محاسب الشركة، ونريد أن نعرف أرض المرحوم أخوك.

وكأن صاعقة نزلت على رأس عبد القوي، ولكنه لم ينطق ببنت شفه، وقال في اضطراب ظاهر:

سوف أريكما الأرض، وأنتم نزلتم في فيلا المرحوم، وسوف أعطيكم الدفاتر المسجل فيها كل الحسابات.

وغاب لحظات، ثم أتى ومعه الدفاتر، وضعها أمام السيدة أنيسة، فقالت له بهدوء:

سوف نأخذ هذه الدفاتر ليراجعها المحاسب، والان أرينا أرض المرحوم.

قال بهدوء غريب:

أنا أرسل إليكم كل محصول نصيبكم في الميراث، ونصيب البنات في ميراث أمهم.

قال المحامي:

المشكلة ليست فيما ترسله، المشكلة أن نعرف كل صغيرة وكبيرة من أرث المرحوم، ونرجو من سيادتكم أن ترينا الأراضي المملوكة للمرحوم، ولزوجته المرحومة، بل وأراضيك أنت أيضا، فالوصية التي تركها المرحوم، تقول إنك مشرف على الأملاك فقط، و لم يذكر أن لك نصيب في هذه الأراضي.

قال عبد القوي:

أنا اشتريت من المرحوم قطعة أرض على حدود أرضه، وقد اشتريت من ثمن الإشراف قطعة أرض بجوارأرض المرحوم .

أنتقل الجميع عبد القوي والسيدة أنيسة والمحامي، ومنال ليروا الأرض.

بعد أن انصرفت السيدة أنيسة و المحامي، دبت مشاجرة بين عبد القوي ومنال، واتهمها بأنها هي التي أبلغت السيدة أنيسة، فقالت له:

أنا التي أبلغت السيدة أنيسة بعد الذي قلته لي، وأخذت الأولاد لأعرف ميراث المرحوم .

فقال ابنك الأكبر بعصبية:

أن هذه الأرض كلها ملك أبي.

كان من الواضح للسيدة منال، أن الأب و أبنه يريدان أن يستولى على ميراث الأسرة، وأنهما متفقان، فكلامهما واحد، ودفاعهما واحد و يتكلمان بثقة زائدة.

وخاب ظن الحاج عبد القوي في أنه سوف يسيطر على السيدة منال، وبذلك يضمن أن يكون ميراث أخوه له وحدة.

ولكن السيدة منال كانت تبلغ السيدة أنيسة بكل ما يدور بينهما على نصيب الأسرة من الميراث.

قالت تهدد الحاج عبد القوي:

سأطلب من السيدة أنيسة أن تسترد الوكالة منك.

قال لها عبد القوي:

لن تستطيع.

قالت له السيدة منال:

إذن أنت لا تعرف السيدة أنيسة، إنها تدير شركاتها ومصانعها بكل حزم، ومن حقها أن تسحب الوكالة لأن صاحب الوكالة قد مات، فتصبح الوكالة لاغية من تلقاء نفسها.

الفصل السادس عشر
نفور نادرة

حينما دخل فريد و نادرة في غرفتهما في الفندق، ادعت نادرة أن الدورة الشهرية قد جاءتها، ولهذا ناما كل منهما في اليوم الأول، دون ان يتلامسا، وأخذ التعب كلا منهما كل مأخذ.

وفي اليوم الثاني نزلا يسهران في صالة الفندق، حيث الغناء والرقص، طلب منها أن ترقص معه، ولكنها رفضت لأنها لا تعرف الرقص من ناحية، وخوفا من أن تسقط الدورة على فستانها، فتكون فضيحة.

مر الأسبوع سريعا، وعادا إلى البيت، في البيت وفي حجرة فريد، اختلى بها فريد، ولكنها قالت له إنها تريد أن تنام لوحدها، سوف أنام على الكنبة، وأنت تنام على السرير.

استغرب فريد من هذا التصرف، ولكنه لأول مرة يصبر فما زالت الأيام قادمة.

وأخيراً اشتكى إلى أمه هذا التصرف من نادرة، واستغربت الأم، ولكنها لم تحدث نادرة في الأمر، بل ذهبت إلى أختها، وشرحت لها الموقف.

ذهبت أم نادرة لترى ابنتها، ثم اختلت بها، و حدثتها في الأمر، قالت نادرة :

إنني لا أحبه، وقد فرضتم علي زواجه، إنه متسرع في كل أموره.

قالت الأم:

و إن كان متسرع فهو زوجك، ويجب أن يتم هذا الزواج الليلة، وسوف آتي في صباح الغد لأرى النتيجة.

قالت نادرة:

و لكن.

قالت أمها:

ليس هناك ولكن، كما قلت لك، وإلا أخبرت والدك بهذا الأمر، وأنت تعرفين أنه عصبي المزاج، فسوف يقيم الدنيا عليك، ولا يقعدها.

بكت نادرة في غرفتها، وحين جن الليل ارتدت قميص النوم التي جاءت به في ثيابها، واخترته احمر شفاف، وقالت لفريد:

أنا تحت أمرك.

نظرإليها فريد باستغراب، فهو يعرف عنادها، وأنها لا تفعل إلا ما تريد. ولكنه لم يقل لها شيئا.

أحس فريد حين اقترب منها ببرودة جسدها، و فتور عاطفتها، فتركها، وذهب إلى الكنبة.

في الصباح جاءت أم نادرة لتعرف ما تم في هذا الزواج، ولكن نادرة قالت أمها:

هو الذي رفض رغم إنني لبست له قميص النوم الأحمر الذي جئتني به.

أخذت أمها تبحث عن فريد لتكلمه وتعرف السبب، فقال لها بعصبية:

نعم رفضت أن أنام معها، لقد كانت حين قبلتها كانت باردة في عواطفها، في نظراتها، و حين داعبتها كانت تنفر مني، ولهذا ابتعدت عنها، لقد أحسست إنه ليس زواج بل اغتصاب.

قالت الأم:

إذا عرفت أنيسة بهذا فسوف تغضب منكما، وأنت تعرف غضبها، كن رجلا، و تزوجها بالقوة يا ابني، اغتصاب كما تقول، فليكن اغتصاب فسوف تحقق الغرض، ولاتطاوعها في عنادها، سوف ترى إنها تكون ملكا لك حين تشعربحرارة جسدك، بحرارة قبلاتك، بحرارة لمساتك، تخيل أنك تحبها، وإنها تخاف من تلك الليلة.

في الليل كانت نادرة ترتدي قميص نوم أبيض قصير مرة أخرى، وأخذ يداعبها ويقبلها بحنان، ورغم برودة جسدها، ونفورها إلا إنه استخدم قوته، ولانت له واستسلمت وهدأت، وهكذا تم الزواج .

في اليوم التالي جاءت أم نادرة لتطمئن على ابنتها، عرفت منها أنه اغتصبها بكل قوته، وأرتها ملاءة السرير، وعليها بقع الدم، زغردت الأم فقد نجح فريد فيما قالت له، نجح في أن يمتلكها، وإنها ستكون طوع أمره .

حينما غادرت الأم منزل أختها، أخذت نادرة في البكاء.

طلبت نادرة من السيدة أنيسة أن تسمح لها بالعمل في الشركة، واستغربت السيدة أنيسة لطلب نادرة، فهى تعرف إن شهادتها الآداب.

ذهبت نادرة إلى الشركة، فعينتها السيدة أنيسة في العلاقات العامة.

واستطاعت أن تكتسب ثقة زملائها، بل ثقة العملاء، وللمرة الثانية استغربت السيدة أنيسة، فهي تعرف أنها تعامل ابنها بفتورو برود ، وهي في الشركة تعامل الجميع بحرارة وحماس و كانهم أصدقائها منذ زمن .

لقد خمنت السيدة أنيسة أن نادرة كانت تميل حين تأتي لزياتهم إلى الحديث مع طاهر، وأن طاهر كان يحدثها كأنها أخته، عرفت أن عواطفها تميل إلى طاهر، ولكن هيهات فطاهر قد تزوج، وهو يحب زوجته، ويمتص غضب من يحاول

أن يجرحها، بل هو ذات مرة منعها من أن تغادر البيت بعد خلافها مع أمه.

الفصل السابع عشر
تأديب وحيد

قالت مدام شيرين للسيدة أنيسة أن وحيد يأتي في منتصف الليل ومعه فتاة، كل يوم فتاة تختلف عن الفتاة السابقة.

قالت لها السيدة أنيسة:

و كانك لم تقولي لي شيئا.

في الساعة الحادية عشر والنصف خرجت السيدة أنيسة، وذهبت إلى الملحق الذي يعيش فيه وحيد، وجلست في الظلام منتظرة حضور وحيد.

لم يمض غير نصف ساعة، وأتى وحيد ومعه فتاة، أشعل النور ليفاجئ بوجود أمه منتظرة إياه، فبهت من المفاجأة.

حاول أن يبرر لها، ولكنها قالت له:

إلى حجرتك القديمة، وأعطني مفاتيح سيارتك، وكارت البنك.

لم يستطع الكلام من هذه الطلبات التي أمرت بها السيدة أنيسة، فهو يعرف جيدا أنه حتى وإن ثار لن تتنازل عما قالت.

بعد أن خرج وحيد من الملحق، قالت السيدة أنيسة للفتاة: ستنامين معي الليلة، وسوف تخرجين معي في الصباح، وسأوصلك إلى بيتك .

في الصباح أجتمع الجميع كالعادة، ومعهم الفتاة، ولم يسأل أحد عنها، فقد أجلستها السية أنيسة بجوارها، ولكنها توجهت إلى وحيد بالكلام قائلة:

سوف يأخذك السائق مع أختك ليلى إلى الكلية، وسوف يأتي بكما بعد انتهاء محاضرتكما.

وسكت وحيد، ولم ينطق بكلمة، فهو يعرف أن أمه لن تحاسبه أمام الجميع، بل سوف تحاسبه عندما تأتي ليلا.

في الليل نادت السيدة أنيسة وحيد إلى غرفتها، وأغلقت الباب بالمفتاح، وجلست معه في الشرفة، رغم برودة الجو.

قالت له:

أنت لم ترع حرمة البيت، وتصرفت تصرفا غير لائق، ولهذا سأسحب منك كل شيء حتى تعود إلى رشدك.

قال لها بغضب:

لقد سحبت أمس السيارة، وكارت البنك.

قالت بهدوء متجاهلة غضبه:

ومن الممكن أن أعاقبك على أفعالك المشينة فلن أسمح لك بمغادرة البيت، وسأقفل عليك حجرتك، أو أن أجعل السائق ينتظرك في الصباح أمام البيت.

قال لها:

بدون نقود.

قالت له بهدوء:

بدون نقود، وستلتزم بكل ما أقول.

قال لها:

إن هذه النقود نصيبي من ميراث أبي.

قالت له بعصبية:

ما دمت لم تحافظ على التقليد، وكل يوم تكون لك مشكلة جديدة، فهذا قراري.

قال لها:

لقد بلغت الثامنة عشر من عمري، ولهذا أطالب بنصيبي من الميراث.

نظرت إليه بشراسة، وقالت له بلهجة شديدة:

نعم بلغت الثامنة عشر، ولهذا من حقك أن تأخذ نصيبك من الميراث، ولكني أقول لك، إذا اردت ذلك، فأرفع علي قضية تطالب فيها بالميراث، وسوف أحاسبك حسابا عسيراً أمام المحكمة، فأنت تأخذ مصروفا كبيرا، بل كشف البنك يقول إنك تسحب بغير حساب، أرفع قضية، وأنت الخاسر، وكيف ترفع قضية، وأنت لا تملك ما تعطيه للمحامي.

قال لها في جدله:

سوف أذهب إلى قسم البوليس، وأعمل محضر.

قالت وهي تضحك:

أذهب، إن كنت شاطر، وأنت تعرف جيدا أن لك سابقة في قسم البوليس، سوف استخرج المحضر، وأقدمه لقسم الشرطة.

وعلى غير عادته بكى وحيد كالأطفال حين سدت السيدة أنيسة أمامه كل الأبواب.

ونظرت إليه بحنان، و قالت:

كما قلت لك سوف تذهب مع أختك إلى الجامعة، وسوف تأتي معها، وأي مشاغبة أو مشكلة سوف أتصدى أنا لك.

رغم استمرار وحيد في البكاء، فإن أمه استمرت في تهديداتها، ولكنها قالت برقة الأم:

إذا كانت التقريرالآتية تأتيني عنك جيدة، فسوف أرفع عنك بعض العقاب، إلى أن ينصلح حالك.

وهكذا انتهى اجتماع السيدة أنيسة وابنها، ولكنها لم تفتح له باب الغرفة، بل اتصلت بمدام شيرين وطلبت منها كوبين من الحليب الدافئ.

لم تمض غير دقائق قليلة وحضرت مدام شيرين ومعها كوبين اللبن، وطرقت الباب كعادتها، ولم تجد الباب مفتوحا، فطرقت مرة أخرى.

أسرعت السيدة أنيسة بفتح الباب، ولم تدع مدام شيرين تدخل، بل أخذت منها الصينية، وأمرتها بالانصراف.

الفصل الثامن عشر
إنطوائية إنجي

كانت إنجي هادئة بطبيعتها، إذا جلست على مائدة الإفطارلاتتكلم، حتى إذا ما انتهت من طعامها، ذهبت إلى غرفتها، لتبدل ملابسها، وتسرح شعرها، وتضع مكياجها البسيط، ثم تخرج وتستأذن من السيدة أنيسة للذهاب إلى عملها، كانت تخرج من باب الفيلا، وتركب تاكسي.

كانت السيدة أنيسة تسأل حارس الفيلاعنها، فيخبرها أنها ركبت تاكسي من أمام باب الفيلا، كان ينتظرها.

ذات مساء دخلت السيدة أنيسة غرفة إنجي، وجلست على كرسي أمام مكتبها، وقالت لها:

أراك كل يوم تركبين تاكسي، مع إن لك سيارة ملك، وسائق يوصلك إلى أي مكان تريدين.

قالت إنجي والإبتسامة تعلو وجهها:

أنا أفضل أن أركب التاكسي، حتى يعرف زملائي في العمل إنني من طبقتهم.

قالت لها السيدة أنيسة:

كما تشائين، وأنت حرة فيما تفعلين.

نظرت السيدة أنيسة إلى مكونات الغرفة، فإلى جانب السرير والدولاب، كان يوجد مكتب لها عليه بعض الأوراق المرتبة، وخلف المكتب، كان يوجد مكتبة تمتد على الحائط، تمتلئ بالكتب.

قلت لها السيدة أنيسة:

أظن أن أصدقاءك هم هذه الكتب، فماذا تقرأين؟

قالت إنجي:

إنني أقرأ بعض القصص، وكتب الأدب، وكتب التجارة التي تفيدني في عملي .

قالت لها السيدة أنيسة:

ما رأيك في أن نخرج سويا نتمشى، ونجلس في احدى الكافيهات، نشرب بعض المشروبات، أنا أنتظرك في الأسفل.

نزلت السيدة أنيسة، ولم يمض غير وقت قليل حتى لحقت بها إنجي، و قد ارتدت بنطلون و بلوزة.

ظلا صامتين في الطريق إلى أن وصلا إلى شارع الفجالة، ونزلا، ودخلا إلى مكتبة مصر ثم مكتبة دار المعارف، قالت لها السيدة أنيسة:

اشتري كل ما يلزمك من القصص، والكتب، وسوف نقوم بجولة في بعض المكتبات لشراء ما يلزمك.

كان سائق السيارة يسير خلفهما، حاملا ما تشتريه إنجي من كتب.

بعد أن انتهت إنجي من شراء بعض القصص و الكتب، ركبت مع السيدة أنيسة السيارة، وأمام كافتيريا وقف السائق بالسيارة، و نزلا.

قالت السيدة أنيسة تعال أنت أيضا لتشرب ما يحلو لك، وتبتعد عن هذا الجو الخانق.

ودخل الثلاثة إلى الكافيتريا، قالت السيدة أنيسة لإنجي:

ماذا سنشرب على ذوقك.

قالت إنجي في خجل:

أنا لم أدخل كافتيريا من قبل، ولهذا سوف أترك لك حرية الاختيار.

واتجهت السيدة أنيسة إلى السائق وقالت له:

وأنت ماذا تريد أن تشرب:

قال أنا مثل الآنسة إنجي.

وضحك الاثنين.

بعد أن تناولا الكابتشينو، جلسوا بعض الوقت، قاموا، وركبوا السيارة مرة أخرى.

قالت للسائق:

أمام أي محل للملابس، تقف بالسيارة.

ونزلت السيدة أنيسة وإنجي والسائق، ودخلوا المحل، قالت أنيسة لإنجي:

اختاري ما يناسبك من ملابس.

واتجهت بحديثها إلى السائق وقالت له:

وأنت اختر قميص، وبدلة وكرافتة، وابتعد عن اللون الأسود من فضلك.

وانتهت حفلة الشراء، وعادا إلى البيت في الساعة الحادية عشر مساء.

أحست إنجي براحة كبيرة، فها هي السيدة أنيسة تعاملها كأبنة لها، بل وتترك لها الخيار في أن تشتري و تقتني ما تريد.

الفصل التاسع عشر
مرض منذ الصغر

كانت أنجي منذ نعومة أظفارها، هادئة، انطوائية، تجلس في ركن من أركان البيت بعد عودتها من المدرسة.

كانت تجلس تؤدي فروضها المدرسية بعيدا عن أختيها مريم و ليلى، فإذا ما أنهت مذاكراتها استلمت ركنها، وجلست صامتة ناظرة إلى السماء من خلال النافذة

وفي المساء حينما يذهب الجميع إلى مخدعهم، كانت تدخل في فراشها، وتغطي وجهها، فإذا ما جاءها ملاك النوم، قفزت من سريرها على صرخة واحدة، فتهرع إليها أمها، وتأخذها لتنام في حضنها إلى الصباح.

واحتارت الأم في موقف ابنتها هذا، واستشارت العديد من نساء العائلة، فمن نصحها بأن تذهب إلى أولياء الله الصالحين، يقرأ عليها سورة تطرد هذا الهاجس، ولم تفلح تلك الدعوة، ذهبت إلى ما يدعي السحر، فقيل لها أن ابنتها معمول لها عمل في المكان الفلاني.

ومن شيخ إلى شيخ، ومن دجال إلى دجال، والوضع كما هو، وأخيرا اتصلت بماهرزوجها، الذي اخبرها أنه حجز لها في فندق، وحجز لها عند دكتور نفساني.

واستمر العلاج عدة شهور تحسنت فيها صحة انجي، وعادت مع أمها إلى القرية، وانتهت تلك الكوابيس التي تراودها في الليل.

وأن كانت الأم ظلت تراقبها في نومها حتى اطمأنت إلى ابنتها قد شفيت تماما، و أصبحت طبيعية.

ورغم ذلك فقد كانت إنجي طبيعية في تصرفاتها، وما إن تم علاجها قد قالت الدكتورة لأمها:

من يقسوعليها في البيت؟

قالت أمها:

لا أحد، فلا يوجد في البيت غيرنا وجدها وجدتها، وكلاها لا يتدخلان في أمورنا حتى اختيها تعاملنها برفق وحنان.

سألها الدكتورة: وزوجك؟

زوجي لا يأتي إلى البيت إلا مرة واحدة في الشهر، ولا يصدرأي صوت، ويمضي معنا يومين، ثم يعود إلى القاهرة، حيث عمله، وزوجته الأولى.

الفصل العشرون
حكاية مدام شيرين

كانت مدام شيرين قبل أن تلتحق بخدمة السيدة أنيسة، تعمل طاهية لدى أسرة الحنفي بك، وكانت زوجته عصبية المزاج، تثورلأتفه الأسباب.

كان مع مدام شيرين خادمتان تقومان بالخدمة من النظافة، وترتيب الغرف بعد أن يستيقظ الزوج و الزوجة، وإعداد المائدة في الفطور والغداء، وتنظيف الأواني.

وكان إلى جوار ذلك سائق للسيارة، يقضي غالبا ما يتطلبه البيت من خضروات وفاكهة .. الخ.

وبستاني يقوم بالعناية بالحديقة، إلى جانب حراسة الفيلا، وكان الجميع يتقابلون على مائدة الفطور، والغداء.

كانت مدام شيرين تأخذ ما يتبقى من الطعام لزوجها السكيرالراقد في البيت.

كان زوجها يعمل، ولكنه طرد من العمل بسبب إدمانه على الكحول، وأصبح عاطلا عن العمل.

كان يأخذ من مدام شيرين معظم راتبه ليشتري به الخمر التي يتناولها حينما يفيق من النوم.

وذات يوم حينما عادت مدام شيرين من عملها عصرا، وجدته راقدا على الأرض، وأخذت تهزه، ولكنه لم يستجيب، فاتصلت بالإسعاف، وبعد عمل الاجراءات اللازمة قال لها الطبيب :

لا أظن أنه سيعيش كثيرا وسوف ننقله إلى العناية المشددة.

في اليوم التالي ذهبت إلى المستشفى لرؤية زوجها، فعرفت أنه توفي، وقال لها الطبيب:

أعرف إنك على قد حالك، و لهذا أطلب منك طلباً غريباً، أن تتبرعي ببعض الأعضاء لمرضى آخرين، وسوف تأخذين بعض المال، كل ما عليك أن توقعي على تلك الورقة.

ووقعت وانصرفت عائدة إلى بيتها.

في اليوم التالي ذهبت إلى عملها باكرا، قامت بواجباتها المعتادة من طبخ، ولكنها فوجئت بأن زوجة السيد الحنفي تستدعيها.

وقفت أمامها، وهي ترتدي السواد، فقالت لها زوجة الحنفي بعصبية:

لماذا لم تأتين أمس للعمل.

قالت مدام شيرين و هي تكاد تبكي:

لقد توفي زوجي في المستشفى، ولهذا لم أحضر.

وبعصبية لها:

وأنت سوف تلحقين بزوجك، أنت مطرودة.

قال الحنفي بطيبة لزوجته:

يجب أن نراعي مشاعرها، اذهبي إلى المطبخ.

قالت الزوجة:

أنا قلت و خلاص، فلا تتدخل في عملي في البيت.

مد الزوج يده، وأخرج بعض النقود، ووضعها امام مدام شيرين، ولكنها رفضت أن تأخذ المبلغ المقدم لها.

و انصرفت.

♠

لاحظت جارتها إنها عادت مبكرة من عملها، فدقت عليها الباب، ودخلت لتعرف السبب.

قالت مدام شيرين: لقد طردتني، وأنا لن أعود أعمل لديهم مهما حدث.

قالت الجارة:

ولا يهمك، ربك كريم، أنا بنتي تعمل عند سيدة طيبة، سوف أقول لها، لعلك تعملين عندها.

اتصلت بابنتها واخبرتها بما حدث، اسرعت الخادمة بالاتصال بالسيدة أنيسة و قالت لها:

إن جارتي أصبحت بلا عمل، وتحتاج إلى عمل.

قالت السيدة أنيسة:

اتصلي بأمك، واحضري تلك المرأة.

في اليوم التالي جاءت مدام شيرين إلى فيلا السيدة أنيسة.

وشرحت للسيدة ما حدث لها تفصيلا، وسمعت السيدة أنيسة ما روته مدام شيرين.

بعد أن سمعت السيدة أنيسة ما روته مدام شيرين، قالت لها بحنية:

بما أن زوجك قد توفي، فسوف أخصص لك غرفة في الفيلا، وسيكون عملك هو الإشراف على جميع من في البيت، وسوف أودع معاشك في البنك.

قالت مدام شيرين:

معي دفتر توفير، كنت أدخر به بعض المال الزائد عن حاجتي.

قالت السيدة أنيسة لها:

في أول كل شهر أعطني الدفتر، وسوف أضع راتبك في دفترك، وأظن إنك لن تحتاجي إلى شيء، فأكلك وشربك وملابسك ستكون علي.

قالت مدام شيرين:

هذا كثير جدا.

قالت السيدة أنيسة:

ستكونين عيني في البيت خلال عدم تواجدي، كل صغيرة وكبيرة أريد أن أعرفها في وقتها، وسأعطيك موبايل فيه أرقامي كلها.

وهكذا أصبحت مدام شيرين مديرة المنزل، تحت يدها كل شيء، حتى الإشراف على الخادمتان، والطاهية، والبستاني، والسائقين حينما يتواجدون في المنزل.

في بدء الأمر كان العمل بسيطا، فأولاد السيدة أنيسة الثلاثة كانوا يخرجون من المنزل بعد خروج أمهم و أبيهم، ولكن زادت المسؤولية بعد وفاة الزوج، وأضيف إلى الفيلا ثلاث بنات، وسيدة أخرى، فأصبح عبء النظافة كثيرعلى الخادمتين، ولهذا كانت تساعدهم، بل كانت تذهب إلى المطبخ لمساعدة الطاهية، وأحيانا كانت تساعد البستاني في عمله. فوقت فراغها كان كبيرا في الفيلا.

الفصل الحادي و العشرون
بداية التفكك

ضاقت أسماء بسبب معاملة السيدة أنيسة ومخبرتها لها، ولهذا قررت أن ترحل عن الفيلا، وأخبرت زوجها بذلك.

بعد أن خرجت السيدة أنيسة كل من في البيت، بدأت أسماء في جمع كل حاجاتها ، ووضعها في شنط، واستدعت السائق فحمل حقائبها وحقائب خالتها، ووضعها في السيارة.

بسرعة اتصلت مدام شيرين بالسيدة أنيسة، وأخبرتها بما حدث بالتفصيل.

اتصلت السيدة أنيسة بأبنها، ولكنه كان مشغولا، فلم يرد على هاتفها، بل أغلقه.

انتقلت أسماء إلى بيتها الجديد الذي اشتراه زوجها، وبدأت في توضيب كل شيء.

أما خالتها، فلم تسألها عما حدث حتى لا تثور في وجهها كالعادة.

حضر طاهر عصرا إلى بيته الجديد، ومعه خادمتان لتقوم بالعناية بالمنزل، حاولت أسماء أن تبين له إنها لا تحتاج إلى من يساعدها، سيكون بيتها جنة لم يكن يتوقعها.

انصرف طاهر، وذهب إلى الفيلا، وهو يعرف أن بركان من الغضب سوف ينفجر في وجهه، ولكن فضل ألا يرد على أمه، وقال لها بصوت حنون:

لتذهب هي وخالتها حتى يعود الهدوء إلى البيت.

قالت أمه:

لا يجب أن تعود لكي لا تذهب انت الآخر من هذا البيت.

ابتسم لأمه وقال لها بهدوء:

لا لن تعود ، الأفضل لنا أن تظل بعيدة عنا.

قالت السيدة أسماء :

وأنت ؟

قال لها:

سوف أوازن نفسي بين وجودي هنا، ووجدي هناك.

ولم تجد السيدة أنيسة بدا من إطالة الحوار، ففضلت الصمت، وعرفت أن البيت بدأ في التفكك .

الفصل الثاني و العشرون
المصائب تتوالى

اتصلت منال بالسيدة أنيسة لتخبرها أنها حامل، وأن عبد القوي منعها من الخروج.

اتصلت السيدة أنيسة بالدكتورة مريم، وأخبرتها بالحكاية، وأن تستعد لزيارة عمها للكشف على منال، لأنه منعها من الخروج.

ذهبت السيدة أنيسة ومريم لزيارة منال في منزل الحاج عبد القوي في القرية، والكشف عليها، والاطمئنان عليها.

اختلت الدكتورة مريم بمنال، وكشفت عليها، وأخذت العينات التي تريدها لتحليلها. وقالت لها إنها ستـأتي بعد أسبوع.

في هذه الأثناء، بينما الجميع يتناولون طعام الغداء، إذ حدثت جلبة قوية، وصراخ أمام باب الدوار.

قال أحد الرجال لعبد القوي:

لقد أصيب ابنك الكبير بطلق ناري، ونقل إلى المستشفى.

قبل أن يتحرك عبد القوي وبصحبته الدكتورة مريم، كان الخبر التالي الذي نقله أحد الناس:

لقد مات ابنك.

لم يشعرعبد القوى بما يدور حوله، ووقع على الأرض من هول المفاجأة، ونقل إلى الداخل، في غرفته عرفت الدكتورة مريم أنه أصيب بالشلل في فمه وأطرافه السفلية والعلوية.

صرخت الابنة الكبرى وفاء في مريم، وقالت في عصبية، وهي تبكي لمنال:

من يوم ما دخلتي بتنا والمصائب تتوالى علينا.

بسرعة قبل أن ينشب مشاجرة بين منال والبنت الكبرى وفاء، قالت السيدة أنيسة:

أظن إنك نجحت هذا العام، وسوف تدخلين الجامعة.

واتجهت بحديثها إلى عبد القوي:

لوسمحت ستكون ابنتك في رعايتي خلال دراستها في الجامعة، إذا وافقت بالطبع، هزرأسك.

وهز رأسه بالموافقة، واستأذنته السيدة أنيسة في المغادرة، وإنها سوف تأتي لزيارته في الأسبوع المقبل.

لقد تضاعف العبء على السيدة أنيسة، فها هى ابنة عبد القوى الكبرى وفاء تلتحق بالفيلا، وجهزت لها غرفة في الطابق السفلي.

كانت هناك أهداف للسيدة أنيسة في رعاية ابنة عبد القوي الكبرى وفاء، أولها إبعاد وفاء عن منال، وخصوصا أن منال حامل، ولا تحتاج إلى نرفزة.

ثانيها أن تهذب أخلاق وفاء في المعاملة مع الناس، وخصوصاً من هم أكبر منها.

ثالثا: أن تبين لعبد القوي أنها صاحبة الأمر والنهي حتى في أولاده.

وهكذا سافرت وفاء مع السيدة أنيسة ومعها كل أوراقها، حتى لا تعود إلى القرية مرة أخرى إلا في الإجازة، وأن تكون أعصابها قد هدأت.

قالت وفاء لابنة عمها:

سأخذ ملابسي كلها.

قالت لها السيدة أنيسة في هدوء:

لا داعي أن تأخذي أي ملابس، سوف نشتري لك كل ما يلزمك من ملابس تناسبك في القاهرة.

قالت وفاء، وهي تنظر إلى أختها:

وماذا أفعل بالملابس التي عندي.

قالت أختها سوف نوزعها على بعض الفقراء من بنات القرية اللاتي في مراحل التعليم .

الفصل الثالث و العشرون
الجريمة ضد مجهول

لم يسفر تحقيق البوليس عن شيء، عن سبب قتل ابن عبد القوي الكبير، ولكن كانت كل الدلائل تشير إلى أنه كان زير نساء، ولم يترك أي فتاة أو سيدة إلا وتحرش لها.

وطلب ضابط النقطة من القاهرة أن ترسل له قوة من رجال المباحث للتحري على هذه الجريمة، لأن صاحبها من كبار أعيان القرية.

وبالفعل وصلت فرقة رجال المباحث.

قال الضابط لرئيس الفرقة:

أظن أن هذه جريمة ثأر، فالشاب كان مشهور بمعاكسة بنات القرية، وربما اعتدى على إحدى الفتيات، فأبلغت أهلها، فتربصوا له وقتلوه.

انتشر فريق المباحث في مقاهي القرية للاستماع إلى أحاديث الأهالي عن تلك الجريمة، ولكنهم في البداية لم يجدوا الدليل الواضح لمرتكب هذا الحادث، وكل ما ظفروا به اتهامات واشاعات للعديد من الأشخاص.

نقل المخبرون ما سمعوه لقائدهم، الذي امر باستدعاء كل طرف من أصحاب هذه الشائعات.

وجرى التحقيق في بطء أول الأمر، ولا دليل على مرتكب هذه الجريمة.

وجد أحد رجال المباحث إيشارب، وفردة حلق بالقرب من الجريمة، وبقع دماء متناثرة بعيدا عن الإيشارب بحوالي متر، ووجد على الايشارب حرفين باللغة الانجليزية.

استدعى الفريق ضابط المباحث، الذي أمر باستدعاء فريق الطب الشرعي، و تحفظ على مكان المضبوطات.

وبدأ البحث عن طريق شيخ البلدة، الذي بين أن الفتيات المتعلمات في القرية قليلات، فطلب منه ضابط المباحث أن يحضرهن لاستجوابهن.

ولم يسفر التحقيق عن شيء مع الفتيات المتعلمات في القرية، واتجه البحث مرة أخرى على الفتيات القانتات في البيوت، وأيضاً لم يحقق المحققون تقدما.

واتجه التحقيق وجهة أخرى، عن البيوت التي فيها أسلحة نارية، ولم يسفر التحقيق عن شيء أيضا، فجميع الأهالي لم يكن عندهم أسلحة حيث أن القرية كانت من القرى الأمنة، فالخفر يجولون في أنحاء القرية ليلا.

ووضع رجال المباحث التحقيق ضد مجهول.

هكذا حين نعجز نضع الجريمة ضد مجهول.

الفصل الرابع و العشرون
تحقيق منال

أصبحت منال هي المتحكمة في شئون البيت، بعد أن أصيب زوجها بالشلل، وبعد أن غادرت وفاء مع السيدة أنيسة إلى القاهرة لتلتحق بالجامعة، بل أصبحت هي المسؤولة عن جميع الأراضي التي تمتلكها الأسرة.

وأخذت تفتش في أوراق عبد القوي، وهو ينظر إليها، ولا يستطيع أن ينطق بحرف، وإذا نطق فكلام غير مفهوم.

ولم يتبقى في البيت إلا الطفلين، الولد عبد الصمد الذي بلغ عمره ست سنوات، والبنت فاطمة التي لم تتجاوز الخامسة من عمرها.

أدخلت عبد الصمد المدرسة في القرية، أما فاطمة فحارت في أمرها فلا توجد دار للحضانة في القرية.

اتصلت بالسيدة أنيسة، وعرضت عليها إنشاء دار للحضانة لتعليم الصبية والفتيات مبادئ القراءة والحساب، فشجعتها السيدة أنيسة على ذلك.

وفي خلال أشهر كانت دار الحضانة جاهزة، واشتغلت فيها الفتيات المتعلمات الجالسات في البيوت في انتظار جواب التعيين، وبعض الفتيات اللائي لم يتعلمن، ويرغبن في أي عمل لمساعدة أسرهم.

لم تسكت منال على قضية الابن الأكبر، فبدأت من خلال خدمها البحث عن القاتل، وزادت في رواتب الخدم حتى يشعرن بأهميتهم، وبدأت في زيارة البيوت للتعرف على الأهالي، وخصوصاً من يعملن في الحقول.

في البداية كان ترحيب الأهالي بمنال بطيئاً، مع توجس في أنها تبحث عن قاتل عبد الجبار، وبدأت بزيارة دار العمدة، ثم دار شيخ البلد، ثم بالخفر، وانتشر خبر هذه الزيارات في القرية انتشاراً سريعاً، فالبيوت في القرية تكاد تكون قليلة، ولكنها شبه متناثرة، و أي خبر ينتشر بسرعة البرق.

وجاءتها إحدى الخادمات بخبر كاد يثلج صدرها، وهي أن فتاة منعها أهلها من الخروج، وأنها مخطوبة لابن عمها، رغم أن سنها مازال صغيرا.

أسرعت بزيارة الأسرة التي أشارت إليها الخادمة، واستغرب من في الدوار، وخصوصاً أنها كانت تحمل في يدها بعض ما يحتاجه الدوار من أشياء لازمة للبيت، الشاي والسكر و الزيت، وبعد أن شربت الشاي وأطمأن أهل البيت إليها، لأنها لم تتحدث عن الجريمة، غادرت، ووعدتهم بزيارة أخرى في القريب العاجل.

وعرفت أن في الدوارغير صاحبه وزوجته وبنات لم تتجاوز الكبيرة منهن العاشرة.

وقالت للخادمة:

أظن أن هناك خطأ في معلوماتك.

فقالت الخادمة لها:

لا، أنا أعرف من في الدوار، وأن الكبرى مخطوبة لابن عمها، وسوف يتزوجها قريبا، رغم أن أهلها كانوا قد حددوا تاريخاً لزواجها.

اتجهت إلى بيت العم، وجلست مع الأسرة، رجال ونساء، وعرفت أنهم جميعا يعملون في حقول عبد القوي.

طلبت من الابن الأكبر أن يرافقها إلى بيتها، لأن الظلام الدامس بدأ يلف القرية. وأخذت تتجاذب معه أطراف الحديث، وإنها سوف تقدم للعريس والعروسة ما يلزمهما من فراش

وملابس، وأدوات المنزل، بل وبعض التموين، وإنها لابد أن تحضر يوم العرس.

قالت له:

ولكن العروس صغيرة في السن.

قال لها:

نحن تعودنا أن نتزوج الفتيات في الصغر، وهي سوف تنتقل من بيتها إلى بيتنا، وسوف تساعد أمي .

سألته:

وهل تخرج خطيبتك إلى العمل في الحقل.

قال ببراءة:

نعم يخرجن لمساعدة الكبار في الحقل نهارا.

كان حريصا في كلامه، حرص الفلاحين الذين لا يبوحون بأسرارهم طواعية.

وعندما وصلت إلى البيت، شكرته لأنه أوصلها في الظلام، وخصوصاً ان الليلة غير مقمرة.

ورجع هو إلى بيتهم، سأله والده:

عما تحدثوا أثناء سيرهما.

وحكي له ما دار من حديث .

فقال الوالد:

انتبه فهى تشك فيك.

الفصل الخامس و العشرون
وفاة عبد القوي

استقرت وفاء في بيت السيدة أنيسة، وكان لها حجرة خاصة بها في الدور الأرضي، وكانت تذهب في الصباح الباكر مع ليلى ووحيد إلى الجامعة، ثم تعود معهما بعد أن تنتهي محاضرات الجميع.

ذات يوم وهم في السيارة، أراد وحيد أن يغلس على وفاء، ولكن ليلى ردت عليه، بسرعة فائقة، إنها تتعلم القيادة، وسوف تأخذ سيارته الحمراء وتذهب هي ووفاء إلى الجامعة.

في المساء اشتكت وفاء للسيدة أنيسة ما فعله معها في السيارة، وطلبت منها أن يحترم وحيد نفسه، فأنا لست من هذه الفتيات التي يعرفهن.

قال فريد:

إنه كان يهزر معها .

قالت السيدة أنيسة لوحيد:

بعد العشاء تعال إلى حجرتي، فأريد أن أتحدث معك على انفراد.

في اليوم التالي، ركبت وفاء مع ليلى، ولم يركب معهما وحيد، بل استبقته، و قالت لفريد أن يأخذه معه إلى الجامعة، وأن تعرف موعد انتهاء محاضراته، لأرسل السائق يأخذه .

وكاد فريد أن ينفجر غيظاً، ولكنه كان يعرف أن أمه لا ترجع في قرارها، ولهذا سكت مرغماً.

أوصت ليلى أن من تنهي محاضراتها قبل الآخرى، أن تنتظر في مكتبة الجامعة العامة.

و أصبحت ليلى ووفاء صديقتين، لا يستطيع أحد في الجامعة أن يقترب منهما أبداً، وإلا سمع ما لا يعجبه.

كانت ليلى في السنة النهائية، وكانت كل سنواتها السابقة متفوقة، قال لها أحد المعادين:

أظن أنك سوف تكوني من المتفوقين هذا العام، سوف تنضمين إلى هيئة التدريس بعد ذلك.

رغم أن ليلى لم ترد عليه، إلا إنها شعرت بالفرح والسعادة لهذا الخبر.

عندما عادت ليلى إلى البيت، أخبرت السيدة أنيسة بما دار بينها وبين المعيد، ففرحت السيدة أنيسة لهذا الخبر. ولكنها لم تعلق عليه .

لقد كان فرحها لسببين الأول لأنها سوف تجد عملها، والثاني لأنها تنتظر أن يتقدم لها هذا المعيد.

♠

بعد أن انتهى العام الدراسي، و حصلت ليلى على درجة امتياز قُالت لها السيدة أنيسة سوف أقيم حفلة لك، وسوف أعزم جميع الدكاترة، والمعيدين إلى هذه الحفلة، بل أيضا الموظفين في شركاتها.

وكانت وفاء في أول عام لها في الجامعة، وقد نجحت هي أيضا بتفوق، فقالت لها السيدة أنيسة:

شدي حيلك أنت كمان، أريد أن تكوني معيدة في الكلية.

وبعد أن اقتربت الاجازة من نهايتها، كانت المفاجأة الصاعقة بالنسبة لوفاء والسيدة أنيسة، فقد توفي عبد القوي أبوها، وأخذت السيدة أنيسة وفاء في حضنها، وقالت لها الخبر، وإنهم جميعا سوف يذهبون إلى القرية للجنازة.

استقبلتهم منال، وهي ترتدي السواد، وكان منظرها غريب، فبطنها مرتفع أمامها ارتفاعا ملحوظا، وكانت تسير ببطء، وتنقل قدماها في تثاقل، وهي تبكي.

قالت وفاء لمنال:

كيف مات أبي؟

ردت عليها منال:

لقد استيقظت في الصباح، وأعددت له الفطور، ولكنه كان لا يتحرك، فاستدعيت الدكتور، وقال لي:

لقد جاءته سكتة قلبية.

احتضنت وفاء الصغيران، اللذين بكيا لبكاء أختهما، ولكنها أخذت تواسيهما، ونبهت على منال أن تعتني بهما.

كانت الجنازة رهيبة، فقد حضر أهل القرية جميعا، يتقدمهم العمدة وشيخ البلد وشيخ الخفر، ومعظم الفلاحين، ونساء القرية، وكان يندبن الفقيد.

♠

تقدم المعيد لخطبة ليلى، ولكنه لاحظ أن جميع نساء البيت يلبسن السواد، وعرف بخبرالوفاة.

ولكنه قال لليلى أن تأتي إلى الجامعة غداً فقد عينت معيدة في الكلية.

ثم انفرد بالسيدة أنيسة، وقال لها أنه جاء ليعرف هل هي موافقة على خطبته للأنسة ليلى، ولكن سوف أأجل الكلام في ذلك حتى ينتهي الحداد.

عرفت أن الشاب يعرف في الأصول، ولكنها قالت له:

ما رأيك أن تأتي أنت و أسرتك إلى النادي، وسوف نستقبلكم هناك، للتعرف.

و بالفعل جاء في الأسبوع التالي مع أسرته ، و تم التعارف بين العائلتين ، بل تمت قراءة الفاتحة .

شعر بالسعادة ، شاركته هي السعادة ، و سارا في أرجاء النادي ، و قد تشابكت الأيدي ، و ابتسمت الوجوه .

الفصل السادس و العشرون
حمل نادرة

رغم الحزن المسيطر على الجميع إلا أن نادرة طلبت من أمها أن تأتي إليها.

وبالفعل ذهبت أمها إليها ظناً منها أن مشكلة قد حدثت بين ابنتها و بين فريد.

ذهبت نادرة بأمها إلى حجرتها، وأخبرتها أنها حامل، فقد شعرت بذلك، وذهبت إلى الطبيب، فعمل لها التحاليل ـ وأكد لها أنها حامل في الشهر الثالث.

كادت أمها أن تنسى ما يدور في البيت، وقبل أن تهم بإطلاق زغرودة ، احتضنت ابنتها.

ولكن ابنتها، أبلغتها أنها سوف تجهض نفسها ـ فهي لا تريد أي طفل من فريد.

ضربتها أمها على وجهها، وهددتها بأنها سوف تبلغ والدها، بل تبلغ السيدة أنيسة.

بكت نادرة بصوت مسموع، وفي تلك الأثناء دخلت السيدة أنيسة عليهما، وقالت لهما:

تعالا و أجلسا معنا في الصالة.

قالت أختها وهى تبتسم:

سوف أبلغك بخبر سار، نادرة حامل في الشهر الثالث، ولهذا فضلنا أن نكون هنا.

ضحكت السيدة أنيسة وقالت:

أخيرا خبر سار وسط الأحزان، تعالا سوف أذيع الخبرعلى الجميع.

أخذت نادرة تزيد من بكاءها مع النشيج، فقالت أمها:

هذه دموع الفرح، الحمد لله.

وهبطوا إلى الصالون، وأعلنت السيدة أنيسة الخبر، فما كان من فريد إلا أن قام و قبل زوجته.

الفصل السابع والعشرون
وفاة أنيسة

ما إن وضعت منال طفلها، واستراحت بعض الشيء، حتى أخذت تتأهب للسفر إلى القرية لمتابعة شئونها، ولكن السيدة أنيسة رجتها أن تنتظر إلى الأربعين، وسوف ترسل وفاء وليلى إلى القرية لمتابعة أعمالها.

لم تمض إلا أيام قلائل، حتى جاءتهم الصدمة المؤلمة، فقد اصطدم موتوسيكل وحيد ومرافقته، ونقلا إلى المستشفى في حالة خطرة، وذهبت الأم. وكان طاهر ومريم هناك لمتابعة حالة وحيد.

قال لها طاهر بتأثر:

أن حالة الاثنين خطرة، رغم الاجراءات التي قمنا بها، ووحيد الان تجرى له عملية، أما مرافقته فهى في العناية المشددة حيث أن اصابتها لم تكن خطيرة.

بصعوبة أمسكت السيدة أنيسة نفسها، ولم تبك رغم علامات الحزن البادية على وجهها، وطلب منها ابنها طاهر أن تذهب إلى البيت لتستريح، فالوقت مازال باكرا على خروج وحيد من العملية، ولكنها ذهبت إلى العناية المركزة لتطمئن على الفتاة، فوجدت هناك أم الفتاة وأباها، ينظران من الحاجز الزجاجي إلى ابنتهما ،فأخذت تواسيهما.

عادت إلى البيت كما قال لها ابنها طاهر، ولكنها ظلت قلقة، واتصل بها طاهر واخبرها أن وحيد قد خرج من العملية، وأنه نقل إلى العناية المشددة، وتستطيع أن تأتي في الصباح لترى ابنها، ولكنها لم تنتظر إلى الصباح فقد ذهبت إلى

المستشفى، وظلت واقفة أمام الواجهة الزجاجية تراقب ابنها وحيد.

كانت تبكي، وهى صامتة، تبكي وهى ناظرة من الواجهة الزجاجية، تنظر إلى ابنها وهو جثة هامدة.

ساعات مرت بصعوبة على السيدة أنيسة، وهي تنظر إلى ابنها الراقد في الغرفة بين الحياة و الموت، وترى دكتور داخل، وخارج، وممرضة تتابع المحلول الذي وضع له.

وفجأة رأت الحركة تزداد، وأن لفيف من الدكاترة والممرضات قد حضروا إلى الغرفة.

وأعلن عن وفاة وحيد، في منتصف الليل، فأصيبت السيدة أنيسة بالإغماء، ونقلت إلى أحد الغرف للعلاج.

بعد أن تمت مراسم الدفن، عادت إلى البيت لتصاب بانهيار عصبي، بل كما وصفت مريم شلل جزئي في الساقين.

نادت السيدة أنيسة على منال لتحدثها، وإن عليها مسئولية جبارة، بين الشركات والمصنع والقرية، وإنها واثقة أنها ستكون على قدر المسئولية.

تمنت لها منال الشفاء، وإنها ستعود كما كانت بعد فترة وجيزة، وجلست بجانبها فترة من الوقت.

في صباح اليوم التالي، دخلت مريم ومعها الفطور للسيدة أنيسة، ولكنها لم تجيبها، فقد ماتت بعد أن أوصتها، وكتبت وصيتها، وطلبت من منال أن تضعها في درج المكتب.